



أنشودة النصر

الصَّوْتُ الْعَجِيبُ لِلطَّبْلِ السَّمَائِيِّ

نَظَمَهَا قَدَاسَةُ جِغْمِي بُنْتَسُوكَ رَيْنُوتَشِي

شَرَحَ كُنُوبُ سُدَارِغِي

أنشودة النَّصْر

نَظَمَهَا قَدَاسَةُ جِغَمِي بُنْتُسُوك رِينُوتَشِي

شَرَحَ كُنْبُو سُدَار غِي

النَّصُّ الْأَسَاسِي

1. الافتتاحية

أ. العنوان

أنشودة النَّصْر: الصَّوْتُ الرَّائِعُ لِلطَّبْلِ السَّمَائِيِّ

ب. الإجلال

تَجَلَّتْ فِيكَ حِكْمَةُ الْبُودَا كَلِّمَهُمْ، حُمَاةَ كُلِّ الْكَائِنَاتِ الْوَاعِيَةِ،
مَانُجُوشَا، الْمَبْجَلُ، فِي صُورَةِ فَتَى صَغِيرٍ،
لِتَبْقَى فِي قَلْبِي إِلَى الْأَبَدِ،
أَنْتِ فِي كَسَادَةِ اللُّوْثِ بِبَلَاتِهَا الثَّمَانِيَةِ،
بَارَكْنِي،
وَلِيَكُنْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
النَّفْعُ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ الْوَاعِيَةِ.

2. النَّصُّ الرَّئِيسِي

أ. التَّشْجِيعُ عَلَى مُمَارَسَةِ الْفَاجَرَايَانَا

1. مَزَايَا مُمَارَسَةِ الْفَاجَرَايَانَا الَّتِي لَا مَثِيلَ لَهَا

الْكَمَالُ الْعَظِيمُ وَالْعَمِيقُ وَالْمُنِيرُ،
بِمَجْرَدِ سَمَاعِ عِبَارَاتِهِ يَكْسِرُ الْمَرْءُ جُذُورَ السَّمْسَارَا،
وَمِنْ خِلَالِ التَّدْرُبِ مَدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى جَوْهَرِهَا لِئَيْلِ التَّحَرُّرِ،
فَلْتَنْقُشُوا جَمِيعًا هَذَا فِي قُلُوبِكُمْ.

2. شُرُوطُ التَّدْرُبِ عَلَى تَعَالِيمِ الْفَاجَرَايَانَا

مَنْ يُصَادِفُونَ هَذِهِ التَّعَالِيمَ النَّبِيلَةَ السَّامِيَةَ هُمْ أَصْحَابُ حَظٍّ عَظِيمٍ.
عَبْرَ حَيَاتٍ سَابِقَةٍ وَعَبْرَ دُحُورٍ، حَصَدُوا مَزَايَا وَطَاقَاتٍ إِبْجَابِيَّةً.
ظُرُوفَ نَيْلِ الْاسْتِنَارَةِ عِنْدَهُمْ هِيَ نَفْسُهَا.
كَتَلَكْ عِنْدَ بُودَا سَمَانْتَابَادَا.
يَا أَصْدِقَاءَ الدَّارِمَا، فَلْتَقَرَّحُوا!

ب. التَّشْجِيعُ عَلَى تَنْمِيَةِ ذَهْنِيَّةِ الْبُودِيتَشِيَتَا

1. أَسْبَابُ تَنْمِيَةِ الْبُودِيتَشِيَتَا

مِنْ أَجْلِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْوَاعِيَةِ الْمَغْمُورَةِ فِي مُحِيطِ السَّمْسَارَا الْمُخِيفِ،
مِنْ أَجْلِ مُسَاعَدَتِهِمْ فِي نَيْلِ حَالَةِ الْبُودَا وَهِيَ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ،
عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَحَمَّلُوا مَسْئُولِيَّةَ نَفْعِ الْآخَرِينَ،
وَمِنْ الطَّعَامِ السَّامِّ تَخَلَّصُوا، وَهُوَ تَعَلَّقُكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ.

2. فَضْلُ اسْتِنْهَاضِ الْبُودِيتَشِيَتَا

بَوَابَةُ الْعَوَالِمِ الدُّنْيَا بِهَا تُغْلَقُ،
وَبِهَا سَعَادَةُ الْعَوَالِمِ الْعُلْيَا تُنَالُ،
ثُمَّ بِهَا يَكُونُ التَّحَرُّرُ النَّهَائِي مِنَ السَّمْسَارَا.
عَلَى هَذِهِ التَّعَالِيمِ الْجَوْهَرِيَّةِ تَدْرَبُ
بَانْتِبَاهٍ أَبَدًا لَا يَحِيدُ.

ج. التشجيع على استنهاض ذهن الزُهد

1. مزايا مُراعاة المبادئ
عند كُلِّ حَدَثٍ مَهْمَا عَظُمَ فِي السَّمْسَارَا،
لَا تَجْعَلُوا لِلرَّغْبَةِ مَكَانًا فِي فِكْرِكُمْ.
التزموا التَّعَالِيمَ النَّقِيَّةَ، فَهِيَ زِينَةُ الْعَالَمِ الْبَدِيعَةِ،
وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُنَمَّحُ الْعَطَايَا مِنَ الْإِلَهِهِ وَالْبَشَرِ.

2. خَطَأُ كَسْرِ الْمَبَادِي

لِأَنَّ كُلَّ سَعَادَةٍ مُؤَقَّتَةٌ وَمُطْلَقَةٌ تَأْتِي
مِنَ التَّزَامِ التَّعَالِيمِ النَّقِيَّةِ،
وَلِأَنَّ كَسْرَ الْمَبَادِي، إِلَى مِيلَادٍ فِي الْعَوَالِمِ الدُّنْيَا يَجْرُنَا،
فَلْنَتَّخِذْ الْخِيَارَ الصَّحِيحَ
وَنَتَّجَنَّبْ فَحْجَ الْاضْطِرَابِ.

د. التشجيع على تنمية الشَّخصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ

1. أسباب تنمية الشَّخصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ
كُنْ لَيِّنًا دَائِمًا مَعَ أَصْدِقَائِكَ قَوْلًا وَفِعْلًا
كُنْ شَخْصًا نَزِيهًا مُفْعَمًا بِاللُّطْفِ.
مِنْ أَجْلِ نَفْعِ نَفْسِكَ عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ
جَوْهَرُ التَّعَالِيمِ هُوَ نَفْعُ الْآخَرِينَ فِي اللَّحْظَةِ الْآنِيَّةِ.

2. مزايا صَوْنِ الشَّخصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ

هذه هي المعايير النَّقِيَّةُ لِلشَّخْصِ الصَّالِحِ،

وَالْوَسَائِلُ الْمَاهِرَةُ لِجَمِيعِ الْبُؤَذَاتِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ،

وَأَيْضًا جَوْهَرُ الْمَظَاهِرِ الْأَرْبَعَةِ لِحُذْبِ النَّاسِ لِلدَّارِمَا،

لَا تَنْسُوا، يَا تَلَامِيذِي، أَبَدًا!

3. الْخَاتِمَةُ

إهداء فَضْلِ التَّدْرِيبِ أ.

أُهدي فَضْلَ تَدْرِيبَاتِي وَخَيْرِهَا إِلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْوَاعِيَةِ،

لِيَتَجَاوَزُوا هَاوِيَةَ السَّمْسَارِ.

لِيَكُنَ الْفَرَحُ حَلِيفَ تَلَامِيذِي

وَأُولَدِ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْأَرْضِ الْغَرِيبَةِ النَّفْثَةِ ذَاتِ النَّعِيمِ الْمُطْلَقِ.

ب. بيانات النسخ (كولوفون)

في الدَّوْرَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنَ التَّقْوِيمِ الْيَبْتِيِّ وَسَنَةِ الْفَأْرِ النَّارِيِّ [1996]، تَغَلَّبَ الْمُعَلِّمُ وَالتَّلَامِيذُ عَلَى جَمِيعِ الْعَوَائِقِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ. فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَيِّمُونِ، احْتَفَلْنَا نِغَاوَنَغْ لُودْرُو تْسُونْغَم (Ngawang Lodro Tsungme) بِالنَّصْرِ، وَأَنْشَدْنَا بِشَكْلِ ارْتِجَالِيٍّ أَمَامَ خَمْسَةِ آلَافِ رَاهِبٍ.

جَدول المحتويات

3	أَهَمِّيَّة النَّصِّ
4	مُقَدِّمَةٌ حَوْلَ النَّصِّ
5	عُنْوَانُ النَّصِّ
6	إِجْلَالُ مانجوشري
9	مَزَايَا مُمَارَسَةِ الْفَاجَرَايَانَا النَّفِيسَةِ
10	شُرُوطُ التَّدْرِبِ عَلَى تَعَالِيمِ الدَّزَوَغْتَشِينِ
12	أَسْبَابُ تَنْمِيَةِ الْبُودِيثَشِيَّتَا
13	فَضْلُ اسْتِنْهَاضِ الْبُودِيثَشِيَّتَا
15	مَزَايَا الْإِلْتِزَامِ بِالْمَبَادِئِ
17	الْخَطَأُ فِي كَسْرِ الْمَبَادِئِ
18	أَسْبَابُ تَنْمِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ
20	مَزَايَا صَوْنِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ
21	إِهْدَاءُ فَضْلِ التَّدْرِبِ
22	نَظْمُ الْأَنْشُودَةِ

أهمية النص

يُمكن تقسيم ما قام به قداسة جغمي بُنْسُوك رينبوتشي (His Holiness Jigme Phuntsok Rinpoche) في مجال الدارما إلى ست مراحل رئيسية، يُمكن تمييز كل مرحلة منها من خلال ربطها بنص مهم حول جوهر تلك التعاليم. هذه النصوص الستة هي على التوالي: (*Dawn Flush of Advice, Drops of My Heartfelt Advice*)، (*Nectar Drops of Advice, Song of Victory, Teachings of the Four Vehicles, and Teachings during Magnetizing All that Appears and Exists*). وبالإضافة إلى هذه النصوص، هناك التعاليم التي قدّمها قدّاسته قبل دخوله في النيرفانا.

هذه النصوص ليست مقالات عادية جاءت بعد بضع سنوات من الدراسات البحثية الأكاديمية، ولكنها من جوهر حكمة قدّاسته التي حصلها خلال حياة زاهرة بالدراسة والتأمل والممارسة. فقد أثبت ما نالها من إدراك للحقيقة، بالإضافة إلى سيرته الذاتية وجدارته العالية، أنه قدّيس عظيم ومعلم مستنير في كل فترة من فترات حياته التي امتدت من زمن بوذا شاكياموني إلى عصر غورو بادماسامبافا (Guru Padmasambhava). وهو لم يحصل الكثير من الكارما الجيدة في حياته السابقة وحسب، ولكن في حياته هذه أيضاً. فقد أمضى أكثر من 60 عاماً في التركيز على الدراسة والتأمل، وممارسة تعاليم بوذا، التي بدأها في عمر خمس سنوات، واستمر بها حتى أواخر الستينيات من عمره. لقد كرّس قدّاسته حياته كلها من أجل نفع جميع الكائنات الواعية، ومن أجل الفلسفة البوذية. فجاءت كلماته تحمل تعاليمه، التي تنهل من بئر الحكمة العميقة، والتي تمتلك قيمة عالية للغاية. كانت أنشودة النصر عبارة عن أنشودة الفاجرا دوها¹ (vajra Doha)، التي ارتجلها حضرته وغناها أمام ما يقرب من خمسة آلاف راهب، في يوم احتفال بنصر ميمون حسب التقويم التبتّي. وذلك في الحادي والعشرين من سبتمبر عام 1996، حين قام قدّاسته وتلاميذه بتبديد كل المعوقات الخارجية والداخلية والسرية.

إن أصحاب الحكمة سيفهمون تماماً القيمة العليا لأنشودة النصر بعد دراستهم إيّاها. في الماضي، عندما قدّم لنا قدّاسته التعاليم، لم ندرك قيمتها العظيمة في البداية. ولكننا، مع ذلك، وبعد التأمل والتفكير المستمرين بالدارما، ومع مرور الوقت، جنباً إلى جنب مع النظر في العقائد الدينية المختلفة، أدركنا أن قدّاسته هو حقاً من أكثر البشر استثنائية.

في واقع الأمر، ومع أن بوذا قدّم أربعة وثمانين ألفاً من التعاليم، نحن غير قادرين على إتقانها جميعاً في حياة واحدة. ومع ذلك، والآن، بعد أن لخص قدّاسته هذه التعاليم الجوهرية الرائعة المبنية على أساس ممارسته وإدراكه، بات من الضروري أن نؤمنها ونحاول فهم معناها العميق.

من الناحية النظرية، ينبغي على ممارسي الدارما دراسة كل من السوترا والتانترا على نطاق واسع، على سبيل المثال أطروحات الماهايانا الخمس الكبرى² (the Five Great Mahayana Treatises).

¹ https://en.wikipedia.org/wiki/Songs_of_realization

² <http://kopanmonastery.com/about-kopan/monastic-education/the-five-great-treatises>

ولكن الحياة قصيرة، ومن الصعب معرفة كم من الوقت يعيش المرء، إذ يمكن أن يحدث العديد من التغيرات في بضع لحظات خاطفة، من غير أن يكون هذا مؤكدًا. لذلك، فإن دراسة نص قصير يحتوي على تعاليم عظيمة، يُعتبر ذا قيمة كبيرة لجميع الممارسين. وإلا، فسيكونون غير مستعدين بشكل كافٍ عندما يحين موعد مغادرة هذا العالم.

طلب قداسته من جميع تلاميذه أن يعلموا أو يرددوا أنشودة النصر مرة واحدة قبل أن يعلموا أو يدرسوا نصًا من نصوص الدارما، بحيث يمكن تبديد أي عقبات قد تحدث أثناء العملية. وكذلك، إذا كان شخص ما يطمح إلى اتباع الدارما، فإن ترديد هذا النص مرة واحدة مسبقًا سوف يحقق ما يتوقون إليه. وسوف يحميهم من مواجهة أية عقبات. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تحويل أية عقبات قد تواجههم، أثناء الدراسة أو ممارسة الدارما، إلى ظروف مؤاتية، بمجرد قراءة هذا النص أو باصطحابه معهم إلى أي مكان. لذلك، طلب قداسته مرارًا وتكرارًا من أي شخص اتخذه ملجأ أو اعتمد عليه، أن يحفظ أنشودة النصر، وأن يرددوها، وأن يفهم معناها العميق.

مقدمة حول النص

في أيلول من عام 1995، خطط قداسة نينتسوك رينبوتشي لزيارة تايوان، ثم المغادرة إلى نيبال للمكوث في كهف بادماسامبافا، من أجل الدخول في معتزل أميتايوس بوا. ولكن بعد وصوله إلى تشنغدو، ظهرت بعض المشاكل المتعلقة بطلب جواز سفره. كما عانى من تدهور في صحته، ولم يتمكن المستشفى في تشنغدو من تشخيص سبب مرضه. ونتيجة لذلك، مكث في تشنغدو أكثر من خمسة أشهر، وبقي في حالة صامادي Samadhi، ولم يتفوه بكلمة إلا أثناء أوقات الوجبات.

ثم في إحدى الليالي، رأى قداسته حلمًا ظهر فيه كل من الموقر أتيشا³ (Atisha)، والموقر درومتونبا⁴ (Dromtonpa)، وجو ميبام رينبوتشي⁵ (Ju Mipham Rinpoche)، ولاما لودرو⁶ (Lama Lodro). فالتقى الموقر أتيشا بصمت نظرتة اللطيفة المفعمة بالمحبة على قداسته. وقال الموقر درومتونبا: "لقد جئنا إلى هنا لأن الموقر أتيشا يشعر بقلق شديد نحوك. ستنتهي هذه الأمواج العنيفة في المحيط في العاشر من آذار، فهل تفهم الآثار المترتبة على ذلك؟ (وكان يقصد بهذا أن قداسته حينها، سوف يتعافى تمامًا من مرضه). ثم اختفى كل من الموقر أتيشا والموقر درومتونبا.

ظل جو ميبام رينبوتشي جالسًا بشكل مهيب، وصلى بقوة إلى بادماسامبافا وبطريقة فيها شدة، لأجل تبديد جميع العوائق الخارجية والداخلية والسرية، ولأجل قهر مختلف أنواع الشرور التي تظهر نتيجة الارتباك والتمايز. ثم، حول نفسه بعد ذلك إلى وميض نور واختفى.

أما لاما لودرو فقدّم بعض النصائح الرحيمة، بقوله: "ينبغي أن تسكن في حالة نورانية من الكمال العظيم، أي من الاتحاد العظيم بين ما هو ظاهر وبين الشئيات (the great union of appearance and emptiness). وفي هذه الحالة من التركيز العميق، من الضروري أن تنفع الكائنات الواعية، من خلال ممارسة اليوديتشيتا Bodhichitta، والقيام بتأمل تخفيف مُعانة الآخرين من خلال استبدال سعادتك بمُعاناتهم. بعد ذلك، ستختفي كل الظروف غير المؤاتية". كما أعطاه بعض التعاليم الأخرى، ثم تلاشى أيضًا في النور.

بعد هذا الحلم، بدأ حضرته بالتعافي ببطء. وكما تنبأ الموقر درومتونبا، فقد استعاد صحته تمامًا بحلول العاشر من آذار. ولدى عودته إلى لارنغ غار، قدّم جميع تلاميذه ترحيبًا احتفاليًا بعودته؛ فغنى أنشودة النصر ارتجالًا أمام جمع التلاميذ، فكانت سعادة الجميع في تلك اللحظة لا تُوصف. كما أطلق قداسته على تجمع التلاميذ، في منطقة هان، لقب المنتصر غالب أرض المارا (Victorious Subdue-Mara Land)، مشيرًا بذلك إلى النصر العظيم.

³ <http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Atisha>

⁴ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Dromt%C3%B6npa_Gyalw%C3%A9_Jungn%C3%A9

⁵ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Mipham_Rinpoche

⁶ One of His Holiness Jigme Phuntsok Rinpoche's gurus

عنوان النص

1: الافتتاحية

ب1: العنوان:

أنشودة النصر - الصوت العجيب للطبل السماوي.

أ. معنى العنوان:

في العنوان، يعني النصر أنَّ الممارسين قادرُونَ على تَبْدِيدِ جَمِيعِ الْعَقَبَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْدَاخِلِيَّةِ وَالسَّرِيَّةِ، وَتَحْقِيقِ النَّصْرِ الْكَامِلِ، مِنْ خِلَالِ بَرَكَاتِ الْمُعَلِّمِ وَالْجَوَاهِرِ الثَّلَاثِ.

وتُشيرُ الأَنْشُودَةُ إِلَى أَنْشُودَةِ دُوهَا "Doha"، وَهِيَ أَنْشُودَةُ يُغَنِّيهَا الْكَائِنُ الْمُسْتَنِيرُ بِشَكْلِ ارْتِجَالِيٍّ، وَبِمُسْتَوَى مُعَيَّنٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ لِلْحَقِيقَةِ. أَمَّا الطَّبْلَةُ السَّمَوِيَّةُ، فَهِيَ طَبْلَةٌ ضَخْمَةٌ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ⁷، تَظْهَرُ نَتِيجَةً لِلْمَزَايَا الْعَظِيمَةِ لِلْكَائِنَاتِ السَّمَوِيَّةِ.

وَتُوصَفُ أَنْشُودَةُ النَّصْرِ هَذِهِ، مِنْ خِلَالِ تَشْبِيهِهَا، بِـ "الصَّوْتِ الرَّائِعِ لِلطَّبْلِ السَّمَوِيِّ"؛ لِأَنَّ لِهَذَا الطَّبْلِ صَوْتًا طَبِيعِيًّا، مَعْنَاهُ: "أَيُّهَا الْكَائِنَاتُ السَّمَوِيَّةُ، لَا تَخَافِي".

عِنْدَمَا كَانَتْ الْكَائِنَاتُ السَّمَوِيَّةُ تُقَاتِلُ أُسُورًا، بِمُسَاعَدَةِ الصَّوْتِ الرَّائِعِ لِلطَّبْلِ السَّمَوِيِّ، تَمَكَّنُوا مِنْ هَزِيمَةِ كَائِنَاتِ الْأُسُورِ وَالْفُوزِ بِالْمَعْرَكَةِ. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْعُنْوَانَ يُشَبِّهُ أَنْشُودَةَ النَّصْرِ بِالصَّوْتِ الرَّائِعِ لِلطَّبْلِ السَّمَوِيِّ. يَضُمُّ هَذَا النَّصَّ الْقَصِيرَ جَوْهَرَ جَمِيعِ تَعَالِيمِ السُّوتَرَايَانَا وَالتَّانْتَرَايَانَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّعَالِيمِ الْعَمِيقَةِ جَدًّا الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي حَيَاتِهِ الْحَافِلَةِ بِالتَّدْرُبِ.

ب. المظاهر الرئيسية الأربعة للمسار

يُنَاقَشُ لَمَّا تُسَنَكَبَا⁸ ثَلَاثَةُ جَوَانِبَ رَئِيسِيَّةٍ لِلْمَسَارِ، وَهِيَ الزُّهْدُ، وَالبُودِيْتَشِيْنَا، وَالحِكْمَةُ خَارِجَ إِطَارِ الْحَقِيقَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فِي هَذَا النَّصِّ الْقَصِيرِ، يُلَخَّصُ حَضْرَتُهُ مَسَارَ الْإِسْتِنَارَةِ بِأَكْمَلِهِ فِي أَرْبَعَةِ جَوَانِبَ رَئِيسِيَّةٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ. وَيُمْكِنُ أَيْضًا تَفْسِيرَ الْحِكْمَةِ خَارِجَ إِطَارِ الْحَقِيقَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ ضَمْنَ كُلِّ مِنْ مَسَارَاتِ مَاهايانَا وَفَاجَرَايانَا. فِي أَنْشُودَةِ النَّصْرِ، يَتِمُّ وَصْفُ الْحِكْمَةِ خَارِجَ إِطَارِ الْحَقِيقَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنْ مَنَظُورِ الْكَمَالِ الْعَظِيمِ⁹، وَهُوَ أَعْلَى مَسْتَوِيَاتِ الْإِدْرَاكِ فِي التَّدْرُبِ ضَمْنَ مَسَارِ الْفَاجَرَايانَا، وَعَلَى أُسَاسِ رُؤْيَا الشُّنْيَاتَا فِي تَعْلِيمِ الْمَاهَايانَا.

إِنَّ نَيْلَ الْكَمَالِ الْعَظِيمِ هُوَ أَكْثَرُ أَشْكَالِ الْإِسْتِنَارَةِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا، وَالَّتِي تَسْتَحَقُّ السَّعْيَ مِنْ قِبَلِ الْمُمارِسِينَ الرُّوحِيِّينَ. فَمَا هُوَ الشَّرْطُ الْمُسَبِّقُ لِمِثْلِ هَذَا الْإِسْتِنَارَةِ؟ إِنَّهُ الْبُودِيْتَشِيْنَا. فَبِدُونِهَا، كَمَا يَقُولُ شَانْتِيدِيْفَا فِي كِتَابِهِ مَسَارِ الْوَدِيسَاتَفَا، لَا سَبِيلَ لِنَيْلِ الْإِسْتِنَارَةِ الْكَامِلَةِ، بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ مَدَى الْمَزَايَا الْعُلْيَا الَّتِي يَتِمَّتُ بِهَا الْمَرءُ.

⁷ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Heaven_of_the_Thirty-Three

⁸ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Tsongkhapa_Lobzang_Drakpa

⁹ <http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Dzogchen>

إذن، كيف يُمكن أن تَنشأ البوديتشيتا في ذهن المرء؟
لكي يحدث هذا، يحتاج المرء أولاً إلى ذهن الزُّهد، الذي ينبغي أن يقوم بدوره على شخصية فاضلة. لذلك، يجب أن يكون تسلسل التدريب هكذا:
- تنمية شخصية فاضلة لتكون شخصاً جيّداً.
- وذهن زاهد عن كلّ ارتباط دُنْيويّ.
- وثوق للبوديتشيتا لتوجيه جميع الكائنات الحيّة للوصول إلى حالة البُودا.
- وبعد ذلك، التدرُّب على الذروغتشين لتحقيق الاستنارة الكاملة في حياة واحدة.
هذه أربعة جوانب رئيسيّة للمسار تمّ تلخيصها في أنشودة النُّصر هذه.

إجلال مانجوشري

ب: 2: إجلال

تجلّيت فيك حكمة البُودات كلّهم، حُماة كلّ الكائنات الواعيّة،
مانجوشا، المبجل، في صورة فتى صَغير،
لَتَبْقَى في قلبي إلى الأبد،
أنت في كسادة اللُّؤس ببُتلاتها الثمانيّة،
باركني،
وليكن في هذه الكلمات
النفع لكلّ الكائنات الواعيّة.

أ. الإخلاص الصّافي لمانجوشري

يقول قداسه جغمي بُنتسوك رينبوتشي في هذه العبارة: "إنّ البودات في جميع العوالم في الاتجاهات العشرة هم حُماة جميع الكائنات الواعيّة. وتتجسّد حكمة جميع البودات في الاتجاهات العشرة في مانجوشري، الذي يظهر كفتى صَغير لإفادة جميع الكائنات الواعيّة. أصلي أن يملأ مانجوشري قلبي، الذي يُشبه زهرة لُؤس ذات ثماني بُتلات، بنوره الساطع المبارك الفريد، وأن يبقّى دائماً في سداة لُؤس قلبي. وأصلي، وبقوة الرّأفة لدى مانجوشري، أن تنفع كلماتي جميع الكائنات الواعيّة في هذا العالم".

هنا يُشبّه القلب بزهرة اللُّؤس ذات الثماني بُتلات، وفيه معانٍ خارجيّة وداخليّة وسريّة في الفاجرايانا، ولن تتم مناقشته بالتفصيل هنا.

هذا إجلال لمانجوشري. اتّخذ قداسه جغمي بُنتسوك رينبوتشي من مانجوشري إلهه الرّئيسي main deity. فبعد أن التقى بمانجوشري شخصياً في جبل ووتاي، صار كلّما صاغ مؤلّفاً، يُقدّم أولاً إجلاله لمانجوشري. وهذا يدلّ على إيمانه الاستثنائي بمانجوشري.

ولطالما كان قداسه منذ طفولته على صلة وثيقة بمانجوشري. فوفقاً لسيرته الذاتيّة¹⁰، كان قد تلا مانترا مانجوشري¹¹ (om arapacana dhih) بصوت عالٍ، عندما كان رضيعاً، فور ولادته. وفي سنّ السادسة، اكتشف نسخة لخطاب لمانجوشري (The Speech Lion of Manjushri)، مُخبّأة في كومة من الصُّخور.

ولاحظ عبارة في النّهاية تقول إنّ كان هناك رجلٌ في الهند، يبلغ من العمر 99 عاماً، وبعد يومٍ واحدٍ فقط من التدرّيب نال الاستنارة، حين تجلّى أمامه مانجوشري.

¹⁰<http://www.khenposodargye.org/2013/03/biography-of-h-h-jigmey-phuntsok-dharmaraja/>

¹¹<https://en.wikipedia.org/wiki/Manjushri#Mantras>

فَكَرَّ حِينَهَا قَدَاسُئُهُ: "إِذَا تَمَكَّنَ شَخْصٌ بِهَذِهِ السَّنِّ مِنْ مُقَابَلَةِ مَانْجُوشَرِي بَعْدَ التَّدْرُبِ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، يَنْبَغِي إِذْنُ أَنْ أَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّدْرُبِ وَنَيْلِ الْإِسْتِنَارَةِ دُونَ أَيِّ مَشَاكِلَ، لِأَنْتَنِي قَدْ بَدَأْتُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّنِّ الْمُبَكَّرَةِ". فَشَعَرَ بِالسَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ، وَتَدَرَّبَ بِتَرْكِيزٍ كَامِلٍ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ. وَمِنْ ثَمَّ، ظَهَرَ لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْعَلَامَاتِ وَالْإِشَارَاتِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ نَالَ الْإِدْرَاكَ عَلَى مُسْتَوِيَّاتٍ عَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ أَتَقَنَ بِشَكْلِ تَلْقَانِي وَسِلْسِ جَمِيعِ النُّصُوصِ وَالشَّرُوحَاتِ فِي السُّوتَرَاتِ وَالتَّانْتَرَاتِ.

وَقَدْ أَكَّدَ قَدَاسُئُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى مُمَارِسِي الدَّارْمَا أَنْ يُرَدُّوا مَانْتَرَا مَانْجُوشَرِي كَثِيرًا، وَأَنْ يُصَلُّوا إِلَى مَانْجُوشَرِي كَثِيرًا؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْبَرَكَاتِ مِنْ مَانْجُوشَرِي مُمَيَّزَةٌ جَدًّا، مُقَارَنَةً بِتِلْكَ مِنْ بُوذَاتٍ آخَرِينَ. وَنَحْنُ كَكَائِنَاتٍ عَادِيَّةٍ لَا يُمْكِنُنَا تَحْدِيدُ أَيِّ الْبَرَكَاتِ أَعْظَمُ قُوَّةً، بَرَكَاتُ بُوذَا شَاكِيَاْمُونِي أَوْ الْبُودِيَسَاتَفَا مَانْجُوشَرِي. وَلَكِنْ مِنَ الْمَعْقُولِ جَدًّا إِصْدَارُ أَحْكَامٍ وَفَقًّا لِلْسُّوتَرَاتِ ذَاتِ الصَّلَةِ، حَيْثُ تَمَّ شَرْحُ ذَلِكَ فِيهَا.

فِي الظَّاهِرِ، يَتَجَلَّى مَانْجُوشَرِي عَلَى أَنَّهُ مُجَرَّدُ بُودِيَسَاتَفَا. وَلَكِنْ بِنَاءً عَلَى مَا وَرَدَ فِي السُّوتَرَاتِ، فَقَدْ وَصَلَ بِالْفِعْلِ إِلَى حَالَةِ الْبُوذَا مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ. وَهُوَ تَجَسُّدُ الْحِكْمَةِ الْكَلِيَّةِ لِلْبُوذَاتِ وَالْبُودِيَسَاتَفَاتِ، مِنْ جَمِيعِ الْعَوَالِمِ، لِلْأَتَّجَاهَاتِ الْعَشْرَةِ، وَيُنْظَرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ أَبُو جَمِيعِ الْبُوذَاتِ. فَقَدْ أُرْشِدَ كَائِنَاتٍ وَاعِيَةً، بِأَعْدَادٍ لَا تُحْصَى، لِنَيْلِ حَالَةِ الْبُوذَا، مِنْ خِلَالِ تَحْفِيزِهِمْ عَلَى تَنْمِيَةِ الْبُودِيَسْتِيْنَا. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ قُوَّةَ بَرَكَتِهِ مُذْهَلَةٌ بِشَكْلِ لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ.

وَيُمْكِنُ لِلْجَمِيعِ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ بَرَكَاتِ مَانْجُوشَرِي. وَيُمْكِنُ الْمِفْتَاحُ فِي مَا إِذَا كَانَ لَدَى الْمَرْءِ إِيْمَانٌ حَقِيقِيٌّ بِهِ أَوْ لَا. ذَاتَ مَرَّةٍ عِنْدَمَا زُرْتُ جَبَلَ وَوتاي، وَكُنْتُ أَمَلُ عَلَى النَّوَامِ فِي أَنْ أَرَى مَانْجُوشَرِي شَخْصِيًّا. وَفِي النِّهَايَةِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنِي لَمْ أَرِ مَانْجُوشَرِي، إِلَّا أَنَّنِي ثَلُثُ بَعْضِ الْبَرَكَاتِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي قُدْرَتِي عَلَى حِفْظِ وَقِرَاءَةِ نُّصُوصِ الدَّارْمَا بِالْكَامِلِ، بَعْدَ قِرَاءَتِهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ فَقَطْ. لِذَلِكَ يُمْكِنُنِي الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَشْخَاصَ الْمُخْتَلِفِينَ قَدْ تَكُونُ لَدَيْهِمْ مُسْتَوِيَّاتُ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْإِيْمَانِ. وَلَكِنْ طَالَمَا أَنَّ مَانْجُوشَرِي يُبَارِكُهُمْ، فَإِنَّ جَمِيعَ النُّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ وَشُرُوحَاتِ السُّوتَرَاتِ وَالتَّانْتَرَاتِ سَتَتَجَلَّى فِي أَذْهَانِهِمْ. وَإِذَا كَانَ الْمَرْءُ يُصَلِّي بِاسْتِمْرَارٍ لِمَانْجُوشَرِي، فَسَيُمنَحُ الْحِكْمَةَ الْحَيَاةِ تِلْوُ الْآخَرَى. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، يُمْكِنُ دَمَجُ بَرَكَاتِ جَمِيعِ الْبُوذَاتِ وَتَنَاقُلُهَا فِي اسْتِمْرَارِيَّةِ الدَّهْنِ.

ب. قِصَّةُ عَظِيمَةِ لِمَانْجُوشَرِي¹²

ذَاتَ مَرَّةٍ، عِنْدَمَا كَانَ بُوذَا يُعَلِّمُ الدَّارْمَا فِي قِمَةِ النَّسْرِ (Vulture Peak)، فِي الْمَدِينَةِ أَسْفَلَ الْجَبَلِ، كَانَتْ هُنَاكَ عَاهِرَةٌ تُدْعَى مَارْفَلْسُ غُولِينِ رِي (Marvelous Golden Ray). كَانَتْ جَمِيلَةً جَدًّا وَجَذَابَةً. وَلَكِنْ الْأَمْرُ الْأَكْثَرُ إِثَارَةً لِلدَّهْشَةِ هُوَ أَنَّ جَسَدَهَا كُلَّهُ كَانَ يَتَأَلَّقُ بِهَالَةٍ ذَهَبِيَّةٍ. وَهَكَذَا فُتِنَ بِهَا الْإِمْبَرَاطُورُ وَالْوُزَرَاءُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ مُجَرَّدَ عَاهِرَةٍ مِنْ طَبَقَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ بَسِيطَةٍ. غَيْرَ أَنَّ حَشْدًا كَبِيرًا كَانَ يُحِيطُ بِهَا دَائِمًا.

ذَاتَ يَوْمٍ، رَافَقَتْ ابْنَ صَاحِبِ عَمَلٍ فِي رَحْلَةٍ تَسُوقٍ. وَكَانَا قَدْ خَطَطَا لِلتَّرَفِيهِ عَنْ نَفْسَيْهِمَا فِي مَدِينَةِ الْمَلَاهِي. فَحَوَّلَ مَانْجُوشَرِي نَفْسَهُ إِلَى شَابٍّ وَاسِيمٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الطَّرُوفَ كَانَتْ مُوَاتِيَةً لِأَنَّ تَنَالِ مَارْفَلْسُ غُولِينِ رِي الْإِسْتِنَارَةَ. كَانَ جَسَدُهُ يَتَأَلَّقُ بِالْكَامِلِ بِنُورٍ مُبْهِرٍ. فَلاحَظَتْ مَارْفَلْسُ غُولِينِ رِي أَنَّ النُّورَ الَّذِي يَشْعُ مِنْ الشَّابِّ قَدْ جَاوَزَ نُورَهَا الذَّهَبِيَّ. وَبَيْنَمَا كَانَتْ تَقِفُ فِي وَهَجِ نُورِهِ، أَخَذَ نُورَهَا يَتَلَاشَى، وَصَارَتْ عِنْدَهَا رَغْبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي مَلَابِسٍ كَمَلَابِسِهِ. فَتَخَلَّصَتْ عَلَى الْفُورِ مِنْ ابْنِ صَاحِبِ الْعَمَلِ، وَتَسَلَّلَتْ مِنَ الْعَرَبَةِ الَّتِي اسْتَقْلَاهَا، وَحَاوَلَتْ إِغْوَاءَ الشَّابِّ بِجَمَالِهَا.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أُعْطِيَ مَانْجُوشَرِي الْقُوَّةَ وَالتَّمَكُّنَ empowerment لِإِفَائِشْرَاْفَانَا (Vaisravana) لِتَقْدِيمِ الْمَشُورَةِ لِمَارْفَلْسَ، وَقَالَ لَهَا: "يَنْبَغِي أَلَّا تُثِيرِي جَسْعَكَ أَمَامَ الشَّابِّ، فَهُوَ الْبُودِيَسَاتَفَا مَانْجُوشَرِي، وَفِيهِ كُلُّ حِكْمَةِ الْبُوذَاتِ، وَيُمْكِنُهُ تَلْبِيَةُ جَمِيعِ رَغَبَاتِكَ. فَلَا أَمَّ تَحْتَاجِينَ يَا مَارْفَلْسُ؟" فَأَجَابَتْهُ قَائِلَةً: "لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ سِوَى لِبَاسِهِ الْجَمِيلِ". أَجَابَ مَانْجُوشَرِي: "إِذَا تَمَكَّنْتَ مِنْ دُخُولِ بَابِ بُودِي (Bodhi)، فَسَأُعْطِيكَ مَلَابِسِي.. وَلَئِنْهَا لَمْ تَفْهَمْ مَا سَيَتَّبَعُ ذَلِكَ، بَدَأَ مَانْجُوشَرِي بِإِعْطَائِهَا تَعْلِيمَاتٍ مُفَصَّلَةً.

¹² More details can be found in *Mañjuśrīvikrīḍitasūtra*, translated by Dharmarakṣa from Sanskrit into Chinese in West Jin Dynasty.

في قِمة النّسر، أثناء تقديم مانجوشري التّعاليم، أثنى بُوذا شاكياموني على مانجوشري قائلاً: "أحسنت!". وقد هزّ ذلك الكون بمليارٍ من الأكوان.

سألت حاشية مانجوشري بُوذا لماذا قال هذا الكلام؟

أجاب بُوذا: "مانجوشري بُوديساتفا يعظ العاهرة بالدارما والرّأفة والحكمة حتّى تستنير. ويُمكنكم الدّهاب إلى هناك حتّى تستمعوا إليه". فذهب العديد من تلاميذ بُوذا إلى مكان مانجوشري. فقال بعضهم الرؤية النّقية لرؤية الحقيقة بوضوح، ونال البعض الإدراك الكامل لحقيقة الخروج من دائرة السّمسارا، وحقق البعض ثمار المسار التي لا رجعة عنها ... وتلقّى عشرات الآلاف من الكائنات الواعية مزايا مُماثلة، بعد الاستماع إلى تعاليم مانجوشري.

أظهرت مافلس أيضاً فهمًا راسخًا للنّظرية القائلة إنّ لا شيء يملك طبيعته الدّائمية الخاصّة به. وقد أرادت حقاً أن تتّبع مانجوشري، وأن تعيش حياتها كراهبة بُودية. لكنّ مانجوشري أخبرها أنّ مسار التّخلّي لا يعني بالضرورة خلق الرّأس، بل يعني ممارسة الدّارما بجدٍّ ومثابرة، والتّخلّي عن المصالح الدّائمية من أجل مصلحة الآخرين. كما نصّحها مانجوشري بالعودة إلى عربة ابن صاحب العمل والمُغادرة معه.

عندما وصلت مافلس وابن صاحب العمل إلى مدينة الملاهي، ذاقا طعم زوال الأشياء إذ ماتت في أحضانها.

في البداية، كان حزينا جداً. ولكن عندما بدأ جسدها يتحلّل تدريجياً، مع تدفق الدّم والقيح من عينيها وأذنيها وأنفها وفمها، ومع انبعاث رائحة كريهة من جسدها، تملك الخوف الشديد ابن رجل الأعمال، فركض على طول الطريق إلى قِمة النّسر لطلب الحماية من بُوذا شاكياموني. فنقل له بُوذا شاكياموني الدّارما، ففهم حقيقة الخروج من دائرة السّمسارا فهماً كاملاً.

ثم تنبأ بُوذا بعد ذلك قائلاً: "نظراً لما قدّمه البُوديساتفا مانجوشري من تعاليم ألهمت مافلس، سننال مافلس حالة البُودا في أرض بُوذا في المستقبل، وسوف يُطلق عليها اسم بُوذا النور الكريم، وسيُصبح ابن صاحب العمل بُوديساتفا يتصرّف نيابة عنها، ويدعى بوديساتفا التّلقّ النقي".

شعر ابن صاحب العمل بالحيرة: "لماذا وصلت تلميذة البُوديساتفا مانجوشري، مافلس غولدين ري، إلى حالة البُودا؟ أما أنا، وبصفتي تلميذاً لبُودا، فسأصبح بوديساتفا فقط؟".

لم يستطع فهم هذا. فقال بُوذا: "إنّ مزايا البُوديساتفا مانجوشري لا يمكن تصوّرها". كما أثنى قدّمته عهدي الأولي أمام مانجوشري لتتمية البُوديتشيتا. وقد فعل ذلك عدد لا يحصى من البُودات في الماضي، وكذلك سيفعله عدد لا يحصى من البُودات في المستقبل".

ج. الدافع السّليم في تلقّي التّعاليم

قام قداسة جغمي بُنتسوك رينبوتشي بتأليف هذا النّصّ، ليس من أجل التعافي من مرضه الخطير، ولا من أجل الرّغبة في أن يصبح ثرياً أو لتحقيق السّعادة لنفسه، بل صلّى من أجل أن يبارك مانجوشري، بأفواله وتعاليمه، جميع الكائنات الواعية، لخيرها الحاضر والأبدي.

وبالمثل، نحن نحتاج أيضاً إلى فحص دوافعنا عند تلقّي تعاليمه. فبعض الناس مُشوّشون، لا هدفَ لهم؛ فيتجهون نحو التّعاليم، لأنّ الآخرين يقومون بذلك ليس إلّا. فهم يتبعونهم من دون أيّة غاية محدّدة.

في واقع الأمر، يجب أن يكون الغرض من تلقّي تعاليم الدّارما هو إفادة جميع الكائنات الواعية، وليس فقط من أجل منفعة النّفس. وعلى كلّ ممارس ضبط دوافعه وفقاً لذلك.

مزايَا مُمارَسة الفاجرايانا النَّفِيسَة

أ 2: النَّصِّ الرَّئِيسِي

ب1: التَّشْجِيع عَلَى مُمارَسة الفاجرايانا

ج1: مَزَايَا مُمارَسة الفاجرايانا الَّتِي لَا مَثِيلَ لَهَا

الكمال العَظِيم والعَمِيق والمُنِير،
بمَجَرَّد سَمَاع عِبَارَاتِهِ يَكْسِر المَرء جُذُور السَّمَسَارَا،
وَمِنْ خِلَال التَّدْرِب مَدَّة سِتَّة أَشْهُر عَلَى جَوْهَرهَا لَنِيل التَّحَرُّر،
فَلتَنْقُشُوا جَمِيعًا هَذَا فِي قُلُوبِكُمْ.

أ. المَزِيَّة المُذهِلَة للذِوِغَتَشِين

الكمال العَظِيم الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ، الَّذِي يُعْلِن الجَوْهَر المُنِير للتَّناغَاغَارِبَا tathagatagarbha، يَصْعَب عَلَى النَّاسِ العَادِيَّيْنَ فَهْمُهُ تَمَامًا، وَغَالِبًا مَا يَنْتَقِده أُولَئِكَ الَّذِينَ يَفْتَقِرُونَ إِلَى الحِكْمَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، يُمكن لِلْمَرء أَنْ يَقْطَعَ الأسبابَ الجَذَرِيَّةَ لِلْسَّمَسَارَا بِبَسَاطَةٍ، عَنْ طَرِيقِ الاسْتِمَاعِ إِلَى هَذِهِ العِبَارَاتِ.

وَدَوَى القُذُرَاتِ الكَبِيرَةِ قَادِرُونَ عَلَى تَحْرِيرِ أَنْفُسِهِمْ، إِذَا مَارَسُوا جَوْهَرَهُ بِاجْتِهَادٍ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ. لِذَلِكَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الكَمَالُ العَظِيمُ مَحْفُورًا بَعُمُقٍ فِي قُلُوبِنَا.

الكمال العَظِيمُ هُوَ جَوْهَرُ كُلِّ السُّوتَرَاتِ وَالتَّانْتَرَاتِ، وَمَزَايَاهُ تَتَجَاوَزُ كُلَّ وَصْفٍ. وَيُمْكِنُ لِلنَّاسِ أَنْ يَبْلُغُوا التَّحَرُّرَ بِمَجَرَّدِ سَمَاعِ كَلِمَاتِهِ أَوْ لَمَسِ نُصُوصِهِ أَوْ رِبْطِهِ بِجِسْمِهِمْ أَوْ فَهْمِ مَعْنَاهُ. وَوَفَّقًا لِلْمَقَاطِعِ الشَّعْرِيَّةِ الأَرْبَعِمِئَةِ لِأَرِيَادِيْفَا حَوْلِ الطَّرِيقِ أَوْ الْمَسَارِ الوَسْطِ (Aryadeva's Four hundred Stanzas on the Middle Way)، لَا يَزَالُ الأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ شُكُوكًا حَوْلَ مَفْهُومِ شُنْبَاتَا قَادِرِينَ عَلَى التَّحَرُّرِ مِنْ دَائِرَةِ الوجودِ للعَوَالِمِ الثَّلَاثَةِ. وَيَنْطَبِقُ هَذَا بِدَرَجَةِ أَكْبَرٍ عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا الفاجرايانا الَّتِي لَا سَابِقَ لَهَا.

إِذَا مَارَسَ شَخْصٌ ذُو إِيمَانٍ غَيْرِ عَادِيٍّ وَقَنَاعَةٍ قَوِيَّةٍ بِعَالَمِ الذِوِغَتَشِينِ، فَاتَّبَعَ التَّسْلُسُلَ المُنَاسِبَ فِي التَّدْرِيبِ، مِنْ حَيْثُ التَّهْيِئَةِ، ثُمَّ قَامَ بِالتَّدْرِيبَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ، ثُمَّ خَاتَمَهُ التَّدْرِيبَ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَرِّرَ ذِهْنَهُ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

جاءَ فِي تَانْتَرَا فَاكِرا بَرَاكِجَا¹³ (Vajra Panjara Tantra) أَنَّهُ: "إِذَا كَانَ المَرءُ يَتَدَرَّبُ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ بِالإِيمَانِ وَالْقَنَاعَةِ الرَّاسِخَةِ، فَسَيَتِمَكَّنُ مِنْ تَحْقِيقِ ثَمَارِ فَاكِرا دَارَا "Vajradhara"، كَمَا وَرَدَ فِي (Tantric Solemn Oath): "بِإِيمَانٍ وَقَنَاعَةٍ رَاسِخَةٍ، سَيُحَقِّقُ المَرءُ ثَمَارَ الفَاكِرا دَارَا فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ". وَهَذَا مَذْكَورٌ أَيْضًا فِي (Chetsun Nyingthig¹⁴)، وَأَيْضًا فِي (Longchen Nyingthig¹⁵).

وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ الكَمَالُ العَظِيمَ سَامٍ جَدًّا. قَالَ جُو مِيْبَام رِنْبُوتْشِي (Ju Mipham Rinpoche) فِي تَعَالِيمِهِ: "فِي هَذَا العَصْرِ الأَخْذِ فِي الانْحِطَاطِ، تَرَى الكَائِنَاتِ الوَاعِيَّةِ مُثْقَلَةً بِالأَمِّ عَمِيقَةٍ، لَا يُمكنُ تَرْوِيضُهَا بِسُهُولَةٍ بِطَرِيقِ الذَّارِمَا الأُخْرَى. وَلَكِنْ يُمكنُ لِلْمَرءِ أَنْ يَقْطَعَ تَمَامًا كُلَّ الأَلَامِ، مِنْ خِلَالِ تَدْرِيبَاتِ الكَمَالِ العَظِيمِ الَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ.

هُنَا، أَخْبَرْنَا قَدَاسَتَهُ أَنَّهُ بِمَا أَنَّ الكَمَالُ العَظِيمَ أَمْرٌ اسْتِثْنَائِيٌّ، وَجِبَ أَلَّا نَتَخَلَّى عَنْهُ أَوْ نُشَوِّهِ سُمْعَتَهُ. فَإِذَا كَانَ المَرءُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَمِّيَ الإِيمَانَ بِهِ، فَلَا بَأْسَ مِنْ تَرْكِهِ، أَوْ مِنْ إِثَارَةِ شُكُوكِ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ أَمَامَ مُعَلِّمِينَ جَدِيرِينَ بِالنَّفَقَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، يَنْبَغِي أَلَّا تَكُونَ هُنَاكَ تَصَوُّرَاتٌ سَلْبِيَّةٌ مُسَبِّقَةٌ حَوْلَ الفَاكِرايانَا، دُونَ أسبابِ مَنْطِقِيَّةٍ كَافِيَةٍ.

ب. مِثَالُ رَائِعٍ لِمُمارَسةِ الذِوِغَتَشِينِ

لَقَدْ شَاهَدْتُ شَخْصِيًّا عَدَدًا لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ مُمارَسةِ الذِوِغَتَشِينِ، الَّذِينَ حَقَّقُوا إدْرَاكَ الذِوِغَتَشِينِ،

¹³ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Vajrapa%C3%B1jara_Tantra

¹⁴ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Chetsun_Nyingtik

¹⁵ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Longchen_Nyingtik

وظهرت عليهم بشائر ميمونة قبل الموت. وقد تأثرت بشكل خاص بهان بيكشوني منغ هوي، وفيما يلي قصتها:

كان لدى منغ هوي إيمان كبير بالفاجريانا. فهي، في الأصل، كانت تتعالج من مرض في منطقة هان. وفي وقت لاحق، علمت أن قداسة جغمي رينبوتشي كان على وشك تعليم الدزوغتشن في لارونج غار. ولما أدركت بأن الحياة دائمة التغيير وفانية، وأنها تجهل كم من الوقت يمكنها أن تحيا، قررت العودة إلى لارونج غار لتلقي التعليم.

حاضر قداسه عما وجده لونغتشينا (Longchenpa) من الراحة والسهولة في طبيعة الذهن مدة 100 يوم (Longchenpa's Finding Comfort and Ease in the Nature of Mind). فتأثرت منغ هوي على الدراسة خلال تلك الفترة.

في الأول من أيلول عام 1993، وبعد انتهائها من تلقي التعاليم، عادت إلى منطقة هان لتلقي مزيد من العلاج الطبي. وفي الأول من آذار عام 1994، قامت صديقة لها في الدارما تدعى جن رو بيكوني بالاتصال بي من دير جنغغ، حيث كانوا يعيشون، وقالت إن منغ هوي مائت. وفي لحظة وفاتها، كانت في وضعية جلوس نبيلة، ثصلي لمانجوشي وأميابا. بدأ جسدها يتقلص وظهرت كل أنواع العلامات الميمونة. وقد مرت ستة أشهر بالضبط على اليوم الذي انتهت فيه من تلقي التعاليم حتى وفاتها، دون أي تقصير. فكان هذا، بالفعل، حدثاً نادراً جداً.

لم تكن منغ هوي ذكية للغاية دائماً، ولكن إيمانها كان قوياً جداً بالفعل. فالإيمان والقناعة يحتلان المقام الأول من المتطلبات الأساسية، اللازمة لمن يتمتعون بقدرات كبيرة لممارسة الكمال العظيم. فأولئك الذين يمتلكون إيماناً قوياً بمعلميهم وبالجوهر الثلاث، وبخاصة بمسار الفاجريانا، ولن يفصلوا أبداً عن هذا الإيمان، حتى وهم على فراش الموت.

هؤلاء الناس، في الواقع، سوف يحققون إنجازات روحانية عظيمة. ومن هنا، قال قداسه: "من الصعب للغاية أن يعلم المرء عن الكمال العظيم خلال عصر الانحطاط هذا، لأنه طريق غير عادي". ومن الضروري أن تكون هذه الكلمات محفورة في قلوبنا.

ج. التدريبات التمهيدية للدزوغتشن

يعتقد العديد من أتباع مسار الفاجريانا في الوقت الحاضر أنه يجب على المرء التفكير بنقاء عالٍ جداً، من أجل اكتشاف طبيعة ذهنه بشكل فعال.

في الواقع، بالنسبة إلى المتدرب العادي، يجب على المرء أن يبدأ بالتدريبات التمهيدية، التي يتبعها تلقي التمكين، ثم القيام بعد ذلك بالتدريبات الرئيسية. وقد وضع المؤرر لونغتشينا، وميام رينبوتشي، وقداسة جغمي رينبوتشي، جميعاً، متطلبات صارمة لممارسة الدزوغتشن. ومن الأهمية بمكان الالتزام بترتيب التدريب هذا، وإلا فلن يتمكن المرء من تحقيق الإدراك الصحيح.

على هذا النحو، فإن الأمر يشبه رسم زخارف جميلة على جذران مبنئ، في حين لم يتم تثبيت الأساسات بعد. ويكمن الخطر في ذلك في أنه بعد فترة من الزمن، سينهار المبنى بأكمله. لذلك، يجب ألا نرسم الزخارف على الجدران إلا بعد أن يتم تأمين الأساسات واستقرارها.

شروط التدريب على تعاليم الدزوغتشن

ج2: شروط التدريب على تعاليم الدزوغتشن

أ. الظروف المشابهة للبوذا سمانتابادرا (Samantabhadra)

من يُصادفون هذه التعاليم النبيلة السامية هم أصحاب حظٍ عظيم. عبر حيوات سابقة وعبر دهور، حصدوا مزايا وطاقات إيجابية. ظروف نيل الاستنارة عندهم هي نفسها. كذلك عند بوذا سمانتابادرا.

يا أصدقاء الدارما، فلتفرحوا!

أ. تشابه الظروف مع بודה سمانتابادرا

نشير "التعاليم العليا" هنا إلى تعاليم الدزوغتشن العظيمة. ويُشير مُصطلح "أصحاب حظّ عظيم" إلى أولئك الذين تلقوا التعاليم أو استمعوا إلى تعاليم الكمال العظيم، أو أولئك الذين يمتلكون ارتباطاً قوياً بهذه التعاليم.

يقول قداسه: "بالنسبة إلى أولئك الذين أُتيحت لهم فرصة التعرف إلى تعاليم الكمال العظيم، يُعد ذلك نتيجةً للمزايا المتركمة على مدى العديد من الحيات.

وفي الواقع، إنّ التعرف إلى هذه التعاليم العظيمة كأنه مشاركةٌ لنفس ظروف الكارما التي كانت لدى بודה شياموني. لذلك، لا بدّ أن يفرح جميع أصدقاء الدارما."

فمن حُسن حظنا جميعاً، في هذه الحياة، أننا التقينا بمُعَلِّمينا وتلقينا منهم تعاليم الفاجرايانا، والنمكين، وجوهر التعاليم.

هذا الارتباط العجيب بالفاجرايانا هو نتيجة الكارما الجيدة التي تراكمت خلال العديد من الحيات السابقة. وقد استنتج المؤرّر لنعشنبا في الطريقة العليا¹⁶ (Supreme Vehicle) أمرين:

1. نظرًا لأننا وجدنا تعاليم الفاجرايانا التي لا مثيل لها في حياتنا الحالية، فلا بدّ أننا قدّمنا العطايا وكنا في حضرة عددٍ لا حصر له من البوذات في حياتنا الماضية، وكنا أيضًا أتباعهم أو تلاميذهم.

2. ونظرًا لأننا وجدنا تعاليم الفاجرايانا التي لا مثيل لها، فإننا بالتأكيد سندرك الحقيقة في هذه الحياة الحالية، أو خلال مرحلة البارودو Bardo، أو في الحياة التالية.

لذلك، وفقًا لأسلوب الاستقصاء في المنطق البوذي، إذا سمع المرء أو درس الفاجرايانا، فلا بدّ أن تكون لهذا الشخص روابطٌ قويةٌ وساميةٌ بتعاليم الفاجرايانا. نحن في الواقع نشترك مع بודה سمانتابادرا بظروفٍ مُشابهة، لأننا استطعنا التعرف إلى تعاليم الدزوغتشن في هذه الحياة الحالية.

وبسبب دارما التانترا السامية والعليا، هذه، وصل سمانتابادرا إلى حالة التحرر الذاتي في جزء من الثانية. إنه نتيجة لتجمع الكارمات الحسنة لدينا في العديد من الحيات السابقة، والتي هيأت لنا ظروف التعرف إلى هذه التعاليم السامية.

وكما قيل في سوترا (Prajnaparamita Sutra)، فإن الشخص الضائع والثائه في الغاية، سيُشعر بقرّبه من قريةٍ بمجرد رؤيته إحدى المواشي. ولدى رؤيته الراعي، تتبدّد كلّ مخاوفه من الضياع. كذلك، بمجرد أن التقينا بمعلم الفاجرا الذي يُرشدنا إلى طريق الفاجرايانا، نكون مثل سمكة اصطيدت للتوّ. فمن المُحقّق أنها ستُسحب إلى الشاطئ، وهكذا سوف ننال التحرر قريباً.

ب. لا تكسروا عهد الفاجرايانا

ومع ذلك، إذا افترى شخصٌ ما على الفاجرايانا أو خان المعلم وتعاليمه، فستكون العواقب وخيمة للغاية. إنّ عهد الفاجرايانا صارمة للغاية. وإذا كسر المرء نذوره، فسوف يجمع هذا الشخص الكارما السلبية التي قد تؤدي به إلى عوالم أدنى. وهذا لا ينطبق فقط على عهد الفاجرايانا، ولكن على عهد البوديساتفا أيضًا، وحتى على التعاليم الخاصة بالبوذيين العاديين، التي هي أيضًا شديدة الصرامة.

إذا اتخذ المرء المَلجأ في الجواهر الثلاثة اليوم، وانتقد الجواهر الثلاثة غدًا، فسوف يغرق بالتأكد في العوالم السفلية الثلاثة. لذلك، قال حضرته في تعاليمه الأخرى: إنه طالما لم يكسر المرء نذوره في هذه الحياة الحالية،

فسوف يُحقّق إدراكًا أفضل فيما يليها من حياة، حتى لو لم يتدرّب بجديّة الآن. فيجب، إذن، أن يكون لدى ممارسي الفاجرايانا مثل هذا التصميم، للحفاظ على العهد، في هذه الحياة بالذات.

16. http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Treasury_of_the_Supreme_Vehicle

أسباب تنمية البوديتشيتا

ب2: التشجيع على تنمية ذهنية البوديتشيتا ج1: أسباب تنمية البوديتشيتا

من أجل جميع الكائنات الواعية المغمورة في محيط السمسارا المخيف،
من أجل مساعدتهم في نيل حالة البودا وهي السعادة الأبدية،
عليكم أن تتحملوا مسؤولية نفع الآخرين،
و من الطعام السام تخلصوا، وهو تعلقكم بأنفسكم.

أ. لماذا يجب أن نتحمل مسؤولية الإيثار؟

يجب أن نتحمل المسؤولية الكبرى المتمثلة في نفع الآخرين ونبذ التشبث بالأنا - التي هي مثل الطعام السام - من أجل مساعدة الكائنات الحية الواعية العالقة في الرعب المستمر من السمسارا، ولكي ينالوا السعادة المطلقة في حالة البودا.

بشكل عام، يمكن تقسيم الكائنات الحية إلى فئتين: فئة الكائنات المستنيرة التي نالت بالفعل السلام والسعادة المؤقتين أو المطلقين، وهي الأروها، وبوذات البراتيكاسا pratyekabuddhas، والبوديساتفات، وكذلك البوذات الذين يحققون المزايا والحكمة المثالية. ثم هناك فئة المخلوقات الضالة أو الجاهلة، التي لم تدق أبداً طعم مثل هذا السلام والسعادة الناشئة عن حالة الاستنارة، والتي جرتها أعمالها وما أحدثته من كارما، لتتخبط في السمسارا المحفوفة بالمخاطر.

السمسارا تعني اللبنة أو المضي فُذما دون انقطاع. فهناك ستة عوالم من الكائنات في السمسارا، هي: الآلهة، وكائنات الشر (الأسورا Asuras)، والبشر، والحيوانات، والأسباح الجائعة وكائنات الجحيم. كل هذه الكائنات تنبئ في العوالم الستة، وأحياناً يتم الحديث عنها على أنها ثلاثة، وفي بعض الأحيان ترتقي إلى العوالم الثلاثة الأعلى، حيث لا تكون المعاناة شديدة للغاية. ولكن، هكذا، ومن دون فترة راحة، تتجرب هذه الكائنات بسرعة إلى هاوية العوالم الدنيا الثلاثة، بسبب أعمالها وما يترتب عليها من كارما. وكما ذكر في مقدمة تشاندراكيرتي (Chandrakirti) حول الطريق الوسط:

في البدء، تنشأ في الكائنات فكرة "الأنا"، فتتشبث بنفسها.
يظنون "هذا لي"، ويتعلقون بالأشياء؛
فيدورون بلا حول ولا قوة كدلاء على عجلة الماء.
رأفة بمثل هذه الكائنات، أنحنى!

وقد تعلمنا، من خلال التعاليم الأصيلة والإدراك الشخصي للبوذات المستنيرين والبوديساتفات، أن جميع الكائنات الضائعة في الأوهام كانت في السابق أمهات وأباء لنا، وهي الآن تُعاني. لقد قاموا برعايتنا واعتنوا بنا، لذلك نحن مرتبطون بشكل وثيق بهم، مع أنهم لا يعرفوننا الآن. إن أي شخص يتمتع بمستوى معين من الوعي لن يتجنبهم، ساعياً بأنانية وراء سلامه وسعادته، بل سيضمن سلامتهم وسعادتهم، أي تحريرهم إلى الأبد من محيط سمسارا المخيف، كما يضمن تحقيق الاستنارة الكاملة.

لذلك، من الضروري أن ننمي الإيثار فينا، فنأخذ على عاتقنا تقديم العون إليهم، حتى ينالوا السعادة المؤقتة، من خلال الطعام الجيد والملابس الجميلة. وفي الوقت نفسه، علينا إرشادهم لتحقيق السعادة المطلقة، من خلال ما أدركته الأروها والبوديساتفات والبوذات.

يجب أن نتخلص، على قدر الإمكان، من الأنانية التي تشبه السم؛ فإن تبعاتها قد تكون عسيرة جداً. جاء في كتاب شانتيديفا (طريق البوديساتفا):

إن كنت، من أجل نفسي، أؤدي غيري،
فلن يطولني سوى المعاناة في عوالم الجحيم.
إن كنت أؤدي نفسي من أجل غيري،
فسيكون كل تفوق إرثي.

ب. تَخْلَصُ مِنْ سُمْ التَّلْعُقِ بِالنَّفْسِ
في الماضي ، عندما كان را لُتساوا¹⁷ (Ra Lotsawa) يَتَأَمَّلُ في إلهه في مكان هادئ، شعرَ أَنَّ هذا النوع من العزلة هو ما أرادَه طَوَالَ حَيَاتِهِ. ولكن في أحد الأيام قال له إلهه: "غادر المُعْتَزِل، لعلَّكَ تَنفَعُ الكائناتِ الحَيَّة. ستُكون مزايا ذلكَ أعظم، وإن كانتِ الفَترَةُ وجيزة، ستُكون أعظم بكثيرٍ مِنَ التَّأَمُّلِ الجادِّ في إلهك، في عِزلة هادئة لمليارات الدُّهور".
ومن ثَم، فإن مزايا مُساعدة الآخرين بدافع الإيثار، هي أعظم بكثيرٍ مِنْ تَطهير النَّفس لِسَنوات لا تُعدُّ ولا تُحصى.

وقيلَ أيضًا في (طريق بُوديساتفا) لسانتيديفا:

كُلُّ الفَرَحِ في العالمِ
يَنبُعُ مِنْ تَمَنِّي السَّعادة لِلآخرين.
وكلُّ البُؤسِ في العالمِ
يَنبُعُ مِنْ تَمَنِّي البَهجة الأنانِيَّة.

لذلك، يَجِبُ أَنْ نُحَوِّلَ دُونَ إهمال البُوديتشيتا أثناء تَدْرِيباتنا. فقد نَبَّه باترول رينبوتشي (Patrol Rinpoche) أيضًا، فقال: "إنَّ التَّدْرِيبَ على الكَمالِ العَظيم الذي لا مِثْلَ له، دُونَ مُمارسة البُوديتشيتا، هو مُجَرَّدُ التَّدْرِيبِ ضِمْنَ طَرِيقِ الهينايانا، أو الطَّرِيقِ الأخرى غير البُودِيَّة Tirthika". ومن هُنا، قالَ قَداسة جِغمي بُنتسوك رينبوتشي: إنَّ الأنانِيَّة مِثْلُ السُّمِّ. وهذا تَشْبِيهِ مُمتاز يَسْتَحِقُّ مِنَّا التَّفَكُّرَ والتَّأَمُّلَ، فالأشخاص الذين يَمْتَلِكُون شُعورًا قوِيًّا بالأنانِيَّة سَوفَ يَفْشَلُون عاجلاً أو آجلاً أَيْنَمَا كانوا. إنَّ مُعْظَمَ ما نُعاني مِنْهُ مِنْ جَدَلٍ وَضِيقٍ وَخِلَافٍ، لَيْسَ إِلَّا نِتاجُ الأنانِيَّة، الَّتِي سَتُتَلَشَّى مَعَ الإيثار. مِنْ أَجْلِ ذلكَ، يَنبَغِي أَنْ نَسْعَى لِأَنْ نُصَبِحَ بُوديساتفات حَقِيقِيَّين.

في الواقع ، نَحْنُ لا نَحْتَاجُ إلى إبداء الكَثِيرِ مِنَ الاهتمامِ بِما يَقُولُهُ النَّاسُ. وَبَدَلًا مِنْ ذلكَ، عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ ما هُوَ مُمَكِنٌ لِنَفْعِ الآخرين، ما دُمْنَا على قَيَدِ الحَيَاة، وَلَدِينَا القُدرةُ على ذلك. وَسِوَاءُ أَكانَ النَّاسُ على دِرَايةٍ بِما نَقُومُ بِهِ أَمْ لا، فلا بَأْسَ في كِلْتا الحَالَتَيْنِ. وَاعتقد، مَعَ أَنَّ أَحَدًا قَدْ لا يَعْلَمُ بِيَعُضِ ما فَعَلْنَا بِهِ أَثناءَ حَيَاتِنَا هَذِهِ، أَنَّهُ مَعْرُوفٌ لَدَى البُوداتِ والبُوديساتفات، بِالإضافة إلى مُعَلِّمينا.

ولا نَنسَ قانُونِ السَّبَبِيَّةِ أيضًا. فَإِنَّهُ لا قِيَمَةُ لِمُساعدة الآخرين، إِنْ كانتِ مِنْ أَجْلِ السُّمعةِ والشُّهرة. وَبَدَلًا مِنْ أَنْ نَكُونَ قَرِيبَةً لَجَمِيعِ أنواعِ الاهتماماتِ الدُّنيويَّة، يَجِبُ أَنْ نَعزِمَ فَقَطَ على بَدَلِ قُصارى جُهدنا مِنْ أَجْلِ نَفْعِ الآخرين.

فَصْلُ اسْتِنْهَاضِ البُودِيتشِيتا

ج2: فَضْلُ اسْتِنْهَاضِ البُودِيتشِيتا

بَوَابَةُ العَوالِمِ الدُّنيا بِها تُغْلَقُ،
وبِها سَعادةُ العَوالِمِ العُلَيا تُنَالُ،
ثُمَّ بِها يَكُونُ التَّحَرُّرُ النِّهائِيُّ مِنَ السَّمسارا.
على هَذِهِ التَّعاليمِ الجَوهريَّةِ تَدْرَبُ
بانتِبَاهٍ أَبَدًا لا يَحِيدُ.

أ. مِيزة البُودِيتشِيتا
مِنْ مَزايَا التَّحْفِيزِ على التَّدْرِيبِ على البُودِيتشِيتا: سَدُّ البَوَابَةِ المُؤدِّيَةِ إلى العَوالِمِ الدُّنيا، مِمَّا يَسْمَحُ لَنَا بِتَحْقِيقِ السَّلَامِ والسَّعادةِ النَّسَبِيَّةِ إلى أَجْلِ في العَوالِمِ العُلَيا لِلنِّشْرِ والِإِلَهَةِ. وفي النِّهايةِ ثَمَكُنَّا مِنَ التَّحَرُّرِ مِنَ السَّمسارا. لِهَذَا، يَنبَغِي على كُلِّ مُمارِسٍ لِلدارما مُمارسةَ هَذِهِ التَّدْرِيباتِ المُهمَّة، دُونَ شُرُودٍ أو تَسَلُّتٍ.

¹⁷ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Ra_Lotsawa

مزايا البوديتشيتا تفوق الحصر ولا حدود تحدّها، سواء كانت الغاية مجرد النية الخالصة في تنمية البوديتشيتا أو العمل بها. وتجدون هذا الموضوع بشكل مفصل في ملخص التدريبات¹⁸ (Compendium of Trainings)، وطريق البوديساتفا، والعديد من سوترات الماهيانا الأخرى.

ببساطة، تتجلى مزايا البوديتشيتا في مظهرين:

1. إذا قام المرء باستنهاض البوديتشيتا الحقيقية، أمكنه التخلص من كل الكارما السلبية في ذهنه، فتوصد بذلك أبواب العوالم الدنيا. وكما قال شانتيديفا:

كما النيران آخِرَ الزمان،

تُحرق البوديتشيتا كلّ الذنوب بالكامل.

فلا حدود لخبرها ونفعها.

كما شرح ذلك مايتريا الحكيم والمحب للبوديساتفا سُدانا.

تشير الذنوب العظيمة إلى الكارما السلبية الشديدة التي يصعب تنقيتها. فمثلاً، عند ارتكاب أحدهم الجرائم الخمس¹⁹، أو عند انتقاده الدارما، يُعاقب عقاباً فورياً. ولكن يمكن لهذه الذنوب أن تزول في اللحظة التي تنشأ فيها البوديتشيتا في ذهن المرء، مثلها مثل النار في نهاية الزمان، التي تحرق العالم بأسره. فإذا تمّ تطهير الكارما السلبية، فلن تكون هناك بعدئذٍ فرصة للهبوط إلى العوالم السفلية.

ومن هنا قال قداسته إن الشخص الذي نشأت فيه البوديتشيتا لا يمكن أن يهبط إلى العوالم الدنيا. فعلينا إذن أن نبذل قصارى جهدنا لتوليد البوديتشيتا قبل أن نموت، كما يجب أن نتأكد من أن البوديتشيتا لدينا لا تضعف بعد نشوئها. وبهذه الطريقة لن نولد من جديد في العوالم الدنيا.

2. ومع هذه البوديتشيتا، ستصبح جذور الفضيلة عند الفرد أقوى وأقوى. ومن ثمّ، يمكن للمرء أن يولد ولادة جديدة كإنسان أو إله، للتمتع بكلّ السلام والسعادة المؤقتة في العوالم العليا. وعلاوة على ذلك، سوف يتقن المرء جميع مزايا المسارات الخمسة والبوميات العشرة ten bhumis، ويتنازل حالة البوذا التي لا تعلو عليها. لذلك، فإن قوائد البوديتشيتا هائلة حقاً لجميع الكائنات الحية. فقد قال شانتيديفا أيضاً:

هي السبيل لتبديد الألم،

وسبب الفرح لأولئك الذين في العالم

يجولون.

هي التوجه النفيس، وجوهرة الدّهن،

فبأي وصف أو بأيّ ثمن يمكن أن تُقدّر؟

ب. النتيجة التي وصل إليها البوذات

بعد تأمل وتفكير لذهور طويلة، توصل البوذات، بحكمتهم الراسخة، إلى نتيجة. تماماً مثل بعض العلماء الذين كرّسوا أنفسهم للبحث فترة طويلة من الزمن، حتى يتمكنوا من اختراع أمر يعتقدون أنه سوف ينفع البشر. كذلك اكتشف بوذا أن البوديتشيتا ستحقق أكبر فائدة لجميع الكائنات الحية. فعلى مدى فترات طويلة من الملاحظة، ولذهور من الزمن، بدا أن الكائنات الحية التي لا تعد ولا تحصى، يمكن أن تصل بسهولة إلى حالة البوذا، من خلال تنمية البوديتشيتا في داخلها.

¹⁸ <http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Shikshasamucchaya>

¹⁹ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Five_crimes_with_immediate_retribution

ولذلك قال شانتيديفا:

البُذات الأَشْدَاء، يَتَفَكَّرُونَ بَعْمَقٍ وَلِعُصُورٍ عَدِيدَةٍ،

فَقَدْ رَأَوْا أَنَّ هَذَا، هَذَا وَحْدَهُ، سَيُخْلَصُ

الْجُمُوعِ الَّتِي لَا تُحْصَى،

وَيَرْتَقِي بِهِمْ بَيُسْرٍ إِلَى الْبَهْجَةِ الْعُلْيَا.

ومن ثَمَّ، يُشَجِّعُ قَدَاسَتَهُ جَمِيعَ تَلَامِيذِهِ عَلَى تَنْمِيَةِ الْبُودِيْشِيْنَا، وَعَلَى مُمَارَسَةِ هَذِهِ التَّعَالِيمِ الْجَوْهَرِيَّةِ دُونَ تَشَنُّتٍ. فَمِنْ الضَّرُورِيِّ إِذْنِ أَنْ نَحْمِيَ أَذْهَانَنَا مِنْ أَنْ تُغْرِيَهَا الْاهْتِمَامَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ الثَّمَانِيَّةُ، وَإِلَّا نَفْقَدُ وَجْهَتَنَا. وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَدَرَّبَ بِجَدِّيَّةٍ عَلَى التَّعَالِيمِ الْجَوْهَرِيَّةِ لِلْبُودِيْشِيْنَا، لِأَنَّهَا النَّهْجُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً وَقَدْرًا بَيْنَ جَمِيعِ التَّدْرِيبَاتِ.

مزايا التزام المبادئ

ب3: التشجيع على استنهاض ذهن الزهد

ج1: مزايا مراعاة المبادئ

عِنْدَ كُلِّ حَدَثٍ مَهْمَا عَظُمَ فِي السَّمْسَارَا،

لَا تَجْعَلُوا لِلرَّغْبَةِ مَكَانًا فِي فِكْرِكُمْ.

إِلْتَزَمُوا التَّعَالِيمَ النَّقِيَّةَ، فَهِيَ زِينَةُ الْعَالَمِ الْبَدِيعَةِ،

وَالَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُنَمَّحُ الْعَطَايَا مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْبَشَرِ .

أ. ذَهْنُ الزُّهْدِ الْحَقِيقِيِّ

مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّحَرُّرِ النَّهَائِيِّ مِنَ السَّمْسَارَا، يَجِبُ أَلَّا يَكُونَ لَدَيْنَا أَدْنَى رَغْبَةٍ فِي الْأَحْدَاثِ وَالثَّرْوَةِ الْمُبْهَرَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْعَادِيِّ. وَبَدَلًا عَنْ ذَلِكَ، عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَزِمَ بِوَعْيٍ حَيٍّ بِالْمَبَادِيِ النَّقِيَّةِ، الَّتِي يُقَدِّمُ الْبَشَرُ وَالْأَلْهَةُ مِنْ أَجْلِهَا خَيْرَ الْعَطَايَا.

بِالنَّسْبَةِ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَرْغَبُونَ فِي أَنْ يُعَادَ مِيلَادُهُمْ، وَغَائِبُهُمْ نَيْلَ التَّحَرُّرِ، وَلَا تَعْنِيهِمْ مُطْلَقًا الشُّهُرَةُ وَالْقُوَّةُ وَالْمَكَانَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَتْعَةُ الْحَسَنِيَّةُ، وَلَا تُثْنِي فِيهِمْ أَيَّةُ رَغْبَةٍ، فَهُمْ يَرَوْنَ السَّيَّارَاتِ وَالْقُصُورَ الْفَخْمَةَ وَكَأَنَّهَا أَشْيَاءَ عَابِرَةٍ فِي حُلْمٍ، أَوْ أَوْهَامٍ، أَوْ فُقَاقَاتٍ. وَهُمْ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ وَحَسْبُ، بَلْ يَشْعُرُونَ حَقًّا بِأَنَّ الْعَوَالِمَ الثَّلَاثَةَ أَشْبَهَ بِمَنْزِلِ مُشْتَعِلٍ، لَا لَحْظَةً نَعِيمٍ فِيهِ. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَعَمَّوْنَ بِذَهْنِ الزُّهْدِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، يُوَاجِهَ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي الْبِدَايَةِ، تَمَامًا مِثْلَ نَانْدَا²⁰ (Nanda)، صُعُوبَاتٍ فِي التَّخَلِّيِ الْمُطْلَقِ عَنِ النَّوْقِ وَالتَّعَلُّقِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ. وَلَكِنْ إِذَا دَرَسْنَا التَّعَالِيمَ الْبُودِيَّةَ عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ، فَسَوْفَ نُدْرِكُ بِالتَّأَكِيدِ مَشَاعِرَ عَدَمِ الْأَمَانِ فِي السَّمْسَارَا، وَبِالتَّالِيِ نُعَزِّزُ مَشَاعِرَ الزُّهْدِ دَاخِلُنَا.

فَكَيْفَ نَسْتَنْهَضُ ذَهْنًا حَقِيقِيًّا زَاهِدًا؟

مَا مِنْ نَهْجٍ أَفْضَلَ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي الْأَفْكَارِ الْأَرْبَعِ الَّتِي تُحَوِّلُ الذَّهْنَ عَنِ السَّمْسَارَا، وَهِيَ: (1) الْقِيَمَةُ الْعَالِيَةُ لِلْمِيلَادِ كَبَشْرٍ. (2) دَوَامُ التَّغْيِيرِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. (3) غُيُوبُ السَّمْسَارَا. (4) حَتْمِيَّةُ قَانُونِ السَّبَبِ وَالنَّتِيجَةِ.

وَبَعْدَ أَنْ نَنْتَهِيَ مِنْ هَذِهِ التَّدْرِيبَاتِ النَّمَهِيْدِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ، سَيَنْشَأُ فِي أَذْهَانِنَا الزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ النَّامُّ وَالذَّائِمُ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، سَوْفَ نَتَوَقَّعُ بِصِدْقٍ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ السَّمْسَارَا لَيْلًا وَنَهَارًا، تَمَامًا كَالسَّجِينِ الَّذِي يَرْغَبُ بِشِدَّةٍ فِي إِطْلَاقِ سَرَاحِهِ مِنْ سِجْنِهِ.

²⁰ [https://en.wikipedia.org/wiki/Nanda_\(Buddhist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Nanda_(Buddhist))

يقول لاما تسنكابا حول الجوانب الرئيسية الثلاثة للمسار:

الحرية والهبات، من الصعب العثور عليها
والحياة قصيرة.
عندما نألف هذه المعرفة،
لا نعود مأخوذين بهذه الحياة.
من خلال التفكير مرارًا وتكرارًا
في الأفعال وأثارها،
وتكرار التفكير في مآسي الوجود المستمر،
يزول الانجذاب إلى مظاهر الحياة المستقبلية.
عند التدرب على هذا الأسلوب،
لن ينشأ ولو للحظة
أي انجذاب إلى مظاهر الكمال في دائرة الوجود،
وليلًا نهارًا لن يشغل ذهن سوى النية في السعي إلى التحرر -
ثم ينشأ الزهد.

ب. زينة العالم البديعة

بعد أن نستحضر نية الزهد، علينا الالتزام بالمبادئ النقية، التي هي أروع زينة في العالم، ومن أجلها يقدم البشر والآلهة العطايا.

المبادئ هي أساس كل الصفات الفاضلة.

مذكور في سوترا التحرر الفردي (Sutra of Individual Liberation)، أنها جسر للعبور إلى أقدار أفضل:

"ليس من المناسب للرهبان البوذيين أن يتزينوا بالمجوهرات كالأقراط والأساور. لكن الممارس الذي يتمتع بمبادئ نقية، وهي أكثر الزينة فخامة، يستحق الانجاء والتقدير والعطايا من الآلهة والبشر".

لكل كائن واع قدرة مختلفة عن الآخر، ويمكنه تلقي مستويات مختلفة من التعاليم وفقًا لقدراته. فإذا كان للمرء ذهن قوي في الزهد، يمكنه أن يتلقى عهود الرهينة، وأن يلتزم بمبادئها: ²¹sramanera أو ²²bhikkhu أو bhikkhuni. ولكن إذا كانت الظروف لا تسمح للمرء بمغادرة حياة المنزل والانضمام إلى مجتمع رهباني، وجب عليه على الأقل مراعاة أحد المبادئ الخمسة للممارسين العاديين، أو أخذ عهود الملجأ بدافع الزهد.

ويكاد يكون من المستحيل على الممارس أن يتمتع بأي ميزة إذا لم تتم مراعاة أي من هذه المبادئ بعناية. جاء في رسالة ناغارجوننا إلى صديق (Nagarjuna's Letter to a Friend):

حافظ على عهودك، لا تكسرهما ولا تهملهما،
ولا تفسدها أو تُكدرها.
تمامًا كالأرض، عليها كل ما هو ساكن أو متحرك،
كذلك الانضباط، عليه يقوم كل ما هو خير.

لا يمكن أن تقوم قائمة لأي شيء على هذا الكوكب دون وجود الأرض. وكذلك المزاي والفضائل لا تكون دون مبادئ. وإذا لم نلتزم، ولو بمبدأ واحد، فسيكون من الصعب نيل ميلاد جديد كإنسان أو كائن سماوي. هذا فضلًا عن التحرر.

²¹ <https://en.wikipedia.org/wiki/Samanera>

²² <https://en.wikipedia.org/wiki/Bhikkhu>

لهذا السبب، في التّدرّيات السّبعة والثلاثين للبُوديساتفا، يقول تُغمي تسانغبو (Thogme Zangpo):
عند الافتقار إلى الانضباط، لا يُمكن للمرء أن يُحقّق ما هو خَيْر له،
فمن المُضحك حينها، وأنّى له، حتّى التّفكيرُ في تحقيق الخَيْر للآخرين.
إنّ الالتزام بالانضباط،
دون أن تكون مدفوعاً برغبات السّمسار، لهو ممارسة البُوديساتفا.

الخَطأ في كسر المبادئ

ج2: خَطأ كسر المبادئ

لأنّ كلّ سعادة مُوقّتة ومُطلّقة تأتي

من التزام التعاليم النّقيّة،

ولأنّ كسر المبادئ، إلى ميلادٍ في العوالم الدّنيا يجرّنا،

فلننّخذ الخيار الصّحيح

ونتنجّب فخّ الاضطراب.

سواء المَنافع المُوقّتة عند الولادة في عوالم البشر والآلهة، أو السّعادة المُطلّقة في الاستنارة والتحرُّر. فهي كلّها ناشئة
عن الالتزام بالمبادئ النّقيّة. وإذا خالف المرء العهود ولم يثبّ تماماً، فسوف يقع بالتّأكيد في أحد العوالم الثلاثة السفلى. لذلك،
من الضروريّ أن يقوم الممارِس بالاختيارات الصّحيحة في سلوكه، ولا يقع في الاضطراب والتشويش.

ورد في سوترا التحرُّر الفرديّ أنّ الوجهة الوحيدة لمن يُخالفون التعاليم هي العوالم الثلاثة الدّنيا لِكَائنات الجحيم،
والأشباح الجائعة، والحيوانات.

وفقاً لذلك، في سوترا براجنا باراميتا (Prajnaparamita Sutra)، يُقال أيضاً، "أولئك الذين يُخالفون مبادئهم لا
يُمكنهم حتّى مساعدة أنفسهم، ناهيك عن نفع الآخرين".

لقد أصبح الالتزام بالمبادئ النّقيّة أشدَّ صُعوبة في عصر الانحطاط هذا. وعلى وجه الخصوص، أصبح من الصّعب
على الرّهبان الالتزام بالمبادئ النّقيّة في هذا العصر، حيث المعلومات تجاريّة للغاية؛ إذ تُوفّر أجهزة التلفزيون، وأجهزة
الكمبيوتر المحمولة، والهواتف المحمولة، تحفيزاً جسديّاً مُستمراً، وتُغوي الناس باستمرار.

نتيجة لذلك، ما عاد لدى كثيرٍ من الناس زُهدٌ حقيقيّ في أذهانهم، وقليلٌ جدّاً منهم أمكنه البقاء في أماكن نائيّة
ومُنْعزلة، لممارسة الدّارما بشكل واضح، كما فعل الممارسون في العصور القديمة.

ومع ذلك، طالما كان لدينا مُستوى مُعيّن من الزُهد ورغبة صادقة في تحقيق الاستنارة، فمن الصّور جدّاً أن نأخذ
عهود الملجأ الثلاثة، ونحترم المبادئ الخمسة. وفي حالة نقض أيٍّ من هذه العهود، يجب على المرء أن يتلقاها مرّة أخرى
أمام مُعلّم مُوهّل.

والسبب في ذلك هو أنّهُ كما تنمو الأزهار والعُشب والأشجار على الأرض فقط، فإنّ جميع المزايا والفضائل تنمو
وتزدهر على أرض المبادئ فقط.

ويُشير لاما تسونكابا في أحد نُصوصه، المسار الرئيسي إلى الاستنارة (The Main Path to Enlightenment) ، يُشير تحديدًا إلى أحد التعاليم في السوترات، الذي يَنصُّ على أنَّه، في عصور الانحطاط، تتجاوز ميزة التمسُّك، ولو بواحد من المبادئ، ليوم واحد، ميزة تقديم العطايا والهبات للبودات والبوديساتفات، عبر آلاف الملايين من الدهور.

لذلك، يجب ألا نشوَّش أنفسنا ونتوه عن الاتجاه الصحيح في عصر الانحطاط هذا. ينبغي أن نكون حريصين للغاية في خياراتنا؛ فنختار الأسباب والشروط التي ستحمي مبادئنا، وننبذ الظروف غير المؤاتية التي ستؤدِّي بنا إلى نقض عهودنا.

هذا هو الهدف الذي تسعى جاهدين من أجل تحقيقه!

أسباب تنمية الشخصية الفاضلة

ب 4: التشجيع على تنمية الشخصية الفاضلة

ج 1: أسباب تنمية الشخصية الفاضلة

كُن لِيَنَّا دائمًا مع أصدقائك قَوْلًا وَفِعْلًا
كُن شَخْصًا نَزِيهًا مُفْعَمًا بِاللُّطْفِ
من أجل نفع نفسك على المدى الطويل
جوهر التعاليم هو نفع الآخرين في اللحظة الآنية.

أ. أهمية الشخصية الفاضلة

تعني الشخصية الفاضلة التزام اللين دائمًا، مع أفراد عائلتنا وأصدقائنا، فيما نقوله ونفعله. وتعني كذلك أن نكون أشخاصًا نزيهين بقلوب طيبة. وذلك إن أردنا نفع أنفسنا على المدى البعيد، فجوهر التعاليم هو نفع الآخرين في اللحظة الحالية.

تتطلب ممارسة الدارما شخصية فاضلة، وهذه هي التعاليم الجوهرية التي لخصها حضرته على مرَّ سنوات عديدة من إلقاء التعاليم. وقد طلب قداسه من أي شخص يدرس في لارنغ غار Larung Gar أن يتبع ثلاث قواعد، هي: (1) تنمية شخصية فاضلة. (2) التمسُّك بالمبادئ النقية. (3) الاستماع والتفكير والتأمل في تعاليم الدارما.

بعض النظر عما إذا كان المرء يدرس تعاليم الماهايانا أو تعاليم الفاجرايانا، من الضروري أن يتمتع بشخصية فاضلة. وخلافًا لذلك، يصبح من المستحيل إحراز أي تقدم في ممارسة الدارما. يقول جو ميام رينبوتشي في كتابه (the Mundane and Transmundane Codes):

القواعد الدنيوية هي أساس الدارما البوذية.
ففي هذا العالم، إذا لم يكن المرء في تصرفه نبيلاً،
فلن يدرك أبداً المبدأ الأسمى للدارما،
هذا فضلاً عن نيل الاستنارة.

ب. من هي الشخصيات الفاضلة؟

حدّد حضرته في هذه العبارة المعايير التالية للشخصية الفاضلة، وتوقع منا أن نتذكرها جيّداً:

"كُن لِيَنَّا دائمًا مع أصدقائك قَوْلًا وَفِعْلًا". ينبغي أن نتعيش بسلام دائمًا مع أفراد عائلتنا وأصدقائنا، بعض النظر عن أعمارهم ووضعهم. فمن منظور دنيوي، يكون الشخص ذو الخصائص الجيدة مُحترماً عند من يتمتعون بمكانة أعلى، ويرأف بمن هم أقل امتيازاً، ويكون على انسجام مع من هم على قدم المساواة معه.

في منطقة التبت هناك مثلٌ يقول: "عندما يتسلق منه من حيوانات الياك جميعاً صعوداً، فإن النوع الرديء منها يركض مُتجهًا إلى الأسفل". هذا وصفٌ حيّ جدًّا، فالإنسان ذو الشخصية السلبيّة يصطدم دائماً بسلوكه مع الآخرين، ويشعر الناس جميعاً بالارتياح عندما يغادر مثل هذا الشخص. إنّه مثل إزالة الظفرة من عين المرء. رحيْلهم سببٌ للفرح.

وكما يقول بُودا: "سأكون لينا مع الناس الدنيويين". فإذا كان بُودا يتصرف بهذه الطريقة، يجب علينا نحن البشر العاديين أن نفعل الشيء نفسه بالتأكيد.

بالطبع، لا يعني اللين أن تكون بلا مبادئ. ولا يعني أنه يجب على المرء الامتثال لجشع أو كراهية الآخرين. نحن نلتزم بالأفعال المنطقية والمتوافقة مع الدارما، وبهذه الطريقة نتعاش بانسجام مع الجميع.

"كن شخصاً نزيهاً". مهما قلنا وفعلنا، يجب أن نكون منصفين وصادقين وجياديين، وأن نتحرر من التعلق أو النفور من الآخرين.

بالإضافة إلى ذلك، يجب ألا نضع أنفسنا في موقع مهيمن، وألا نحكم على الأمور دون إنصاف. وعلينا التزام قول الحقيقة وأن نكون محايدين. إذن، من الضروري أن تكون شخصاً نزيهاً. ثم، لا يهم بعدن إذا ما أسيء فهمنا، أو تم التشهير بنا؛ فلن نشعر بالأذى أبداً. سوف تتألق طبيعتنا الطيبة والصادقة مثل الذهب الخالص، ولن تشوهها المواقف أو العتمة.

"مع اللطف". إذا بدا أن شخصاً ما نزيه، وأنه على استعداد للتعامل بلين مع الآخرين، مع أن نواياه غير سليمة، فإن أخلاقه مشكوك فيها.

الذهن أصل كل شيء. فقد قال لاما تسونكابا ذات مرة:

النية سليمة نراها في مستوى المرء وطريقه الذي اختار.

والنية السيئة نراها في مستوى المرء وطريقه الذي اختار.

ولأن كل شيء بالنيات،

اجعلها دائماً إيجابية.

إذا كان قلب المرء طيباً، يشرق كل شيء. ولكن إذا لم يستقم قلبه، فطريقه إلى العتمة.

تعتبر هذه المبادئ الثلاثة التي تجعل الشخص مهذباً وخلوفاً، مهمة للغاية. كما أشار حضرته إلى أنه إذا كنا نرغب في نفع أنفسنا على المدى الطويل، فإن نفع الآخرين، في الوقت الحالي، عظيم النفع والخير. فنحن كبشر عاديين، عملياً، نريد حياة كريمة، ولكن إذا تسببنا بالضّرر لمن حولنا، في سعينا لتحقيق أهدافنا، فلن ننجح. قد يبدو هذا كأنه شكل من المكر، أي أن نساعد الآخرين من أجل مصلحتنا الخاصة. لكن، في حقيقة الأمر، من الأفضل ألا نضمّر مثل هذه الأفكار. ومع ذلك، إذا كنت حقاً لا تستطيع أن تنوي الإيثار الحقيقي في داخلك، فعليك على الأقل أن تحاول أن تكون أكثر لطفاً مع الآخرين، لأجل مصلحتك وبقائك على قيد الحياة.

قال حضرته ذات مرة مازحاً: "بعد سنوات عديدة من التجارب في هذه الحياة، لاحظت أن الكثير من الناس لديهم القليل جداً من الحكمة في الأمور الدنيوية. فهم يحاولون بأنانية فقط نفع أنفسهم، على الرغم من أن هذه ليست بالضرورة استراتيجية جيدة. فعلى سبيل المثال، عندما يحب شاب أو شابة شخصاً ما، ويحاول وسعه امتلاكه مما يقيد حرّيته، فالنتيجة غالباً ما تأتي بنتائج عكسية. وقد يتخذ شخص آخر نهجاً مختلفاً، من خلال دعم ومساعدة من يحبه بكل إخلاص، فيزيد ذلك غالباً من قبوله عند من يحب.

عندما ندرس الدارما البوذية، من غير أن ندرك مدى أهمية الشخصية الفاضلة، ومن غير أن نحاول تنمية الخصائص الجيدة فيها، فلن نتمكن من بلوغ أية درجة من الاستنارة في تدرّياتنا".

مزايا صَوْنِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ

ج 2: مزايا صَوْنِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ

هذه هي المعايير النَّقِيَّةُ لِلشَّخْصِ الصَّالِحِ،

وَالْوَسَائِلُ الْمَاهِرَةُ لِجَمِيعِ الْبُودَاتِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ،

وَأَيْضًا جَوْهَرُ الْمَظَاهِرِ الْأَرْبَعَةِ لَجَذْبِ النَّاسِ لِلدَّارَمَا،

لَا تَنْسَوُا، يَا تَلَامِيذِي، أَبَدًا!

أ. فَضْلُ صَوْنِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ

من منظورِ عِلْمَانِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ بَحَثَ، يُنْظَرُ إِلَى مَنْ يَتَمَتَّعُ بِشَخْصِيَّةٍ فَاضِلَةٍ عَلَى أَنَّهُ شَخْصٌ صَالِحٌ. وَمِنْ مَنْظُورِ السَّعْيِ إِلَى الْإِسْتِنَارَةِ، هُوَ الْوَسِيلَةُ الْأَكْثَرُ مَهَارَةً لِتَحْقِيقِ حَالَةِ الْبُودَا عِنْدَ جَمِيعِ الْبُودَاتِ فِي الْأَزْمَنَةِ الثَّلَاثَةِ: فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. وَهُوَ أَيْضًا جَوْهَرُ الْمَظَاهِرِ الْأَرْبَعَةِ الْجَادِبَةِ لِلدَّارَمَا الَّتِي يَتَّبِعُهَا الْبُودِيسَاتْفَا. وَعَلَى جَمِيعِ الْبُودِيِّينَ أَخَذَ ذَلِكَ بَعِينَ الْإِعْتِبَارِ، وَعَدَمَ نِسْيَانِهِ أَبَدًا.

الشَّخْصِيَّاتُ الْفَاضِلَةُ هِيَ "مَعَايِيرُ خَالِصَةٍ لِمَصْلَاحِ الْإِنْسَانِ"، وَهِيَ الْمَبَادِئُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي تَحْكُمُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ الْكَرِيمِ.

خِلَالِ فِتْرَةِ ذُرْوَةِ الْبُودِيَّةِ فِي تَارِيخِ النَّبْتِ، وَضَعَ الْإِمْبَرَاطُورُ سُنْغْتْسَانْ غَامْبُو (Songtsän Gampo) الْمَبَادِئَ النَّوْجِيَّةَ السَّنَةِ عَشْرٍ²³ لِمَا يُمَيِّزُ الشَّخْصَ الصَّالِحَ، وَالَّتِي تَضَمَّنَتْ: تَنْمِيَةَ الْإِخْلَاصِ لِلْجَوَاهِرِ الثَّلَاثِ، وَالسَّعْيِ وَرَاءَ الدَّارَمَا الْمَقْدَّسَةِ وَمُمَارَسَتِهَا، وَالْإِحْسَانَ لِلْوَالِدَيْنِ مُقَابِلَ لُطْفِهِمَا وَالصَّدْقَ، وَالتَّقْلِيلَ مِنَ الْغِيَرَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

لَا تَقْتَصِرُ أَهَمِّيَّةُ الشَّخْصِيَّةِ الْفَاضِلَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ حَيَاةٍ مُسْتَبِيرَةٍ. وَفِي الْوَاقِعِ، إِنَّهَا "أَكْثَرُ الْوَسَائِلِ مَهَارَةً" لِبُلُوغِ حَالَةِ الْبُودَا لِجَمِيعِ الْبُودَاتِ، بُودَا فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. وَبَعْضُ النَّظَرِ عَنْ بُودَا الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ، لَا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ شَخْصًا صَالِحًا قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ بُودَا.

وَبَعْضُ النَّظَرِ عَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مَرَاكِلِ إِدْرَاكِ عُلْيَا وَإِسْتِنَارَةٍ، يُمَكِّنُنَا الْقَوْلَ بِسُهولةٍ إِنَّ الْمُسْتَبِيرِينَ جَادِبِيَّتَهُمُ الشَّخْصِيَّةَ الْخَاصَّةَ، بِالنَّسْبَةِ لِي، لَقَدْ اتَّبَعْتُ وَاعْتَمَدْتُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ الرُّوحِيِّينَ الْعِظَامِ فِي حَيَاتِي، وَجَادِبِيَّةُ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ تَفُوقُ خَيَالَ النَّاسِ الْعَادِيِّينَ. هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمِينَ الْعِظَامَاءِ، نَتِيجَةُ شَخْصِيَّاتِهِمُ الْفَاضِلَةِ، وَصَلُوا إِلَى حَالَةٍ فَرِيدَةٍ تَتَجَاوَزُ الْعَالَمَ الْعِلْمَانِيَّ.

الشَّخْصِيَّةُ الْفَاضِلَةُ هِيَ أَيْضًا "جَوْهَرُ الْمَظَاهِرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَجَذِبُ النَّاسَ لِلدَّارَمَا"²⁴، وَهِيَ تَضُمُّ: (1) إِعْطَاءَ الْآخَرِينَ مَا يُحِبُّونَهُ لِتَوْجِيهِهِمْ إِلَى الْمَحَبَّةِ وَإِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ (2) وَالتَّحَدُّثِ بِكَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ الْغَرَضِ (3) وَنَفْعِ الْآخَرِينَ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ الْغَرَضِ (4) وَالتَّعَاوُنِ مَعَ الْآخَرِينَ وَالتَّكْيُفِ مَعَهُمْ لِتَوْجِيهِهِمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ.

²³ http://www.rigpawiki.org/index.php?title=Sixteen_pure_human_laws

²⁴ http://rywiki.tsadra.org/index.php/four_means_of_attraction

هذه هي المهام الأربع الرئيسية للبُوديساتفا، لخير الكائنات الواعية. وينبغي أن يقوم هذا كله على الشخصية الفاضلة. فمن خلال هذه الشخصية، يكون المرء على استعداد للعطاء، والتحدث بكلمات تثير البهجة، ونفع الآخرين، والتعاون مع الآخرين والتكيف معهم، من أجل توجيههم إلى الاستنارة.

ب. النصيحة الجوهرية لُقداسته

بناءً على الأسباب المذكورة أعلاه، قدّم قداسته هذه النصيحة الجوهرية: "بالنسبة إلى طلابي الذين يؤمنون بي، يجب أن تتذكروا دائماً أن تكونوا أشخاصاً ذوي فضيلة، الآن وفي المستقبل. إذا كنتم لا تستطيعون أن تكونوا أشخاصاً صالحين، فإن كل ما تقومون به مثل أشجار بلا جذور لن تنمو ولن تزدهر أبداً."

في الماضي، كان أساتذة كادامبا المحترمين يلاحظون أولاً شخصية الطالب، قبل قبوله كتلميذ. فإن لم يكن الطالب شخصاً لائقاً، فلن يقبله المعلمون كتلميذ، ولا ينقلون إليه تعاليم الدارما. ومن ناحية أخرى، إذا كان الطالب شخصاً جيداً ولكنه ليس ذكياً جداً، فسبطل المعلمون يتوقعون منه أن يكون طالباً جيداً. لذلك، فالشخصية الفاضلة، وليس الذكاء، هي العنصر الحاسم هنا. فليس بالضرورة أن يكون الشخص الصالح حسن المظهر، وذا صوت جميل، وأخلاق راقية. ولكن يجب أن يكون طيب القلب.

من المؤلف أن يكون للناس خلافات حول بعض القضايا الثقافية. حتى إن الرهبان والراهبات الذين التقوا حول بوذا قد عانوا من مثل هذه المشاكل. ولكن بشكل عام، وبغض النظر عن المدرسة أو الطريقة التي يتم اتباعها، سواء كانت من خلفية الماهيانا أو الفاجرايانا، يجب أن تظلّ السانغا مجتمعاً متناغماً، وأن تتمتع بأجواء متناغمة ومتماسكة. وهذا أيضاً مظهر من مظاهر الشخصية الفاضلة.

باختصار، تناول قداسة جيمي بونتسوك رينبوتشي، في هذا النص، أربعة أجزاء رئيسية، هي: الحكمة خارج إطار الحقيقة التقليدية في سياق تعاليم الماهيانا والفاجرايانا، والبُوديتشيتا، والزهد، والشخصية الفاضلة. هذه الأجزاء الأربعة هي جوهر جميع تعاليم الدارما البالغ عددها 84000، والتي تم تلخيصها من خلال دراسته النظرية وإدراكه الشخصي. وعلى كل واحد منا أن يصونها في ذهنه بحزم.

إهداء فضل التدريب

أ3: الخاتمة

ب1: إهداء فضل التدريب

أهدي فضل تدريباتي وخبرها إلى جميع الكائنات الواعية،

ليتجاوزوا هاوية السمسارا.

ليكن الفرّح خليف تلاميذي

وأولد من جديد في الأرض الغربية النقية ذات النعيم المطلق.

تتلقى جميع الكائنات الواعية - التي كانت أمهاتنا في الماضي - النفع والمزايا الفاضلة المترتبة عن تأليف هذه

الرَّسالة. أتمنى أن يتجاوزوا الهاوية الرَّهيبة لَعوالم السَّمسارا السَّنَّة. تجدون جوهر التَّعاليم البالغ عدُّها 84000 في الإرشادات الأربعة الموضَّحة أعلاه. فليُشرق النِّعيم العَظيم في قُلُوب وأذهان أولئك الذين يُؤمنون ويَتقون بقداسة جِغمي بُنتسوك رينبوتشي، ومن يُؤمنون بالبُودِيَّة. أتمنى أن تُولد جميع الكائنات الواعيَّة مِن جَدِيد في الأرض الغَربيَّة النِّقيَّة، وأن تُصل إلى السَّلام والسَّعادة المُطلقين، وأن تُنتفع مِنها كائنات واعيَّة لا حَصَرَ لها في المُستقبل.

نَظْم الأَنشودة

ب2: تَأليف الأَنشودة

في الدَّورة السَّابعة عَشرة مِن التَّقويم التَّبتيّ وسَنَة الفَأر النَّاريّ، تَغَلَّب المُعلِّم والتلاميذ على جميع العوائق الخارجيَّة والداخليَّة والخَفِيَّة. في هذا اليوم الميمون، احتفلَ نغوانغ لودرو تسُنغم (Ngawang Lodro Tsungmed) بالنَّصر، وأنشدَ بشكل ارتجاليٍّ أمام خَمسة آلاف راهب.

يُضْمُّ التَّقويم التَّبتيّ سَتين عامًا للدَّورة الكاملة. بدأ السَّجَل الزَّمَنِيّ للتَّاريخ التَّبتيّ في عام 1027 للميلاد. والسَّنَة التي نَظَم فيها قداسته أنشودة النَّصر كانت في الدَّورة السَّابعة عَشرة مِن التَّقويم التَّبتيّ في سَنَة فَأر النَّار (الموافق 21 أيلول من عام 1996). وكما ذكرنا سابقًا، كان هذا عندما عاد حَضرتَه إلى الدَّير بعد أن تَغَلَّب على جميع العوائق الخارجيَّة والداخليَّة والتَّانترِيَّة، وكان لِقَاؤُه لِقَاءَ فرح مع كُلِّ تلاميذه. وتَمَّ عَرَضُ أداء يَروي قصَّةَ مَرَضِ قداسته ثُمَّ تَعافيه، وكذلك إنشاد نَشيد الدُّوها للموقَّر درُمتُنبا وجو ميبام رينبوتشي كُمباركة لِقداسته.

نغوانغ لودرو تسُنغم هو اسم الدَّارما لِقداسته. وقد غَنَّى أنشودة النَّصر بشكل ارتجاليٍّ وَسَطَ جَمْعٍ من خمسة آلاف راهب.



For Non-Commercial Use Only